الأنوار المنبلجه بشرح منفرجه

فخر الزمان القاضي أحمد سكيرج الأنصاري

تعليق

الفقير اشريف محمد عبدالمنعم المصري

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء إلى....

كل من ابتغى طريق
التربية والسلوك إلى كل
من سعى لمعرفة الحق
بالحق.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم و الحمدلله رب العالمين الذي بمشيئته تنتفض قلوب السالكين إلى سلوك درب السعادة من حسن إيمان وصلاح عبادة فيسقطون كل رسم وعادة ويُبقون نور الإخلاص منارة وشهادة.

وصلى الله على سراج العارفين وقبلة الموحدين سيد كل سادة وعلى آله وصحابته وذلك منا شهادة.

فإني قبل ان أشرع في هذا العمل قد أستخرت الله و بعد أن لاح لي مصباح القبول شرعت فيه راجي من الله القبول عسى الله ان ينفع به

و بعد

فقد نهج القاضي الشيخ أحمد سكيرج في هذه القصيدة نهج كثير من العارفين والعلماء العاملين فنذكر منهم:-

حجة الإسلام الإمام الغزالي في قصيدتة المنفرجة التى مطلعها

اشتدي الأزمة تنفرجي ما بعد الضيق إلا الفرج

ومنهم العلامة ابو الفضل يوسف بن محمد الشهير بابن النحوي في قصيدتة

اشتدي الأزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلج

وظلام الليل له سرج حتى يغشاه ابو السرج

الشرح

يقول الناظم رحمه الله:-

١- فرج الله بالقرب منك يجي*** لا توقع نفسك في الحرج

الشرح:-

يشير الناظم الى قول الحق تبارك وتعالى {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ }

فإن المؤمن حينماينقاد الى اوامر الله وتحسن معاملتة مع الله يصبح في معية الله يقول الحق { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}

والآية الكريمة تجلي لنا معنى عظيم هو أن ثمرة الإحسان معية الله وهي تنقسم إلى عامة وخاصة وخاصة الخاصة

* فالعامة التي تشمل كل الخلق وهي في قول الحق { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

* والخاصة وهي تخص اهل الإيمان والطاعات وهي في قول الحق { إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ }

* واما خاصة الخاصة فهي معيته سبحانة لأنبيائة وهي قسمان:-

- معية ربوبية وهي التى كانت لكليم الله موسى عليه السلام يقول الحق { قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ }

- معية الوهيه وهي التي كانت لرسول الله علية الصلاة والسلام يقول الحق { لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا}

فائدة

١- ان مقتضى المعية العامة إثبات صفات الله من العلم والسمع والبصر و القدرة وغير ذلك من صفاته سبحانه وتعالى

٢- وان مقتضى المعية الخاصة النصر وتأيد يقول الحق {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا }

تنبية

إن معية الله لا تستلزم القول بأن الله متصل بالعالم أو نقول بما قاله اصحاب العقائد المنحرفة من حلال وحلول و وحدة للوجود.

ولله در سيدي حسان منصور الملقب بتاج الدين الحسني الحسيني التجاني عندما قال :-

وحاذر تقل حل الإله او اتصل ... او انفصل المولى عن الخلق جملة

ولقد قال سلطان العارفين الشيخ محيي الدين بن عربي:-

(من قال بالحلول فهو معلول فإن القول بالحلول مرض لا يزول ,وما قال بالإتحاد إلا أهل الإلحاد)

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ

الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِى لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » .

ويجلي لنا هذا الحديث معنا عظيما هو ان التقرب الى الله من اسباب وجوب معية الله لعبدة الذى يتقرب الية سبحانه ولتعلم ان معية الله سبحانة وتعالى لاتكون الا من خلال تقواه والإحسان له جل في علاه يقول الحق {وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}

والإحسان كماجاء في حديث رسول الله صلى الله علية وسلم { أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ}

ويأخذنا هذا الحديث الى نهران عظيمان هما نهر المراقبة ونهر المشاهده

فالأول هو ان تعبد الله على يقين انه يراك والثاني ان تعبده وكانك تراه ,فإن العبد بتحقيقة لذالك يصبح في مقام الإحسان ويقول الحق تبارك وتعالى { وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان}

ولكي يعرج العبد الى مقام الإحسان علية ولوج باب المراقبة ثم ارتقاء سلم المشاهدة حتى يكون من المحسنين فالمراقبة هي{دوام علم العبد وتيقنة باطلاع الحق سبحانة وتعالى على ظاهرة وباطنة}

وعلامتها كما قال ذو نون ((إثار ما أنزل الله وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله))

ولا يلج العبد باب المراقبة إلا بعد ان يرتدي حلة التقوى يقول الحق تبارك وتعالى{وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ}

ويقول الحق ايضا{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ }

ويقول الحق{يُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}

والتقوى كما عرفها علماؤنا(أن يجدك الله حيث امرك ويفتقدك حيث نهاك) .

يقول الناظم رحمه الله:-

سلم الامر تسلم من عطب	٢	فالرضا بالقضا مسلى المهج
واعلم أن الله جل و علا	٣	في تدبيرة ليس من عوج
قد قضى ما قضاه في أزل	٤	ببديع الأحكام بالحجج
أعطي الأشياء حقائقها	٥	وهي عنها حقا لم تعج

الشرح:-

يقول الحق تبارك وتعالى{لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}
فلكل منا رزق معلوم من البلاء و التمحيص يقول الحق {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ} ويقول رسول الله صلى الله علية وسلم « عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ».

وانظر الى المحة النبوية العظيمة في قوله صلى الله عليه وسلم (وليس ذلك إلا لمؤمن) فقد جعل رسول الله منزلة الشكر ومنزلة الصبر من مقام الإيمان فإن الصبر لايكون إلامن مؤمن ويتجلى هذا المعنى من حديث رسول الله حينما سأله امين الوحي جبريل عليه السلام فقال(يَا مُحَمَّدُ مَا الإِيمَانُ قَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ».) فكان من متعلقات كمال الإيمان الرضا بقضاء الله

يقول رسول الله <<احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان>> رواه مسلم

وقضاء الله هو (الحكم الإلهي الكلي في اعيان الموجودات على ماهي علية من الأحوال الجارية في الأزل الى الأبد)
ولتعلم اخي في الله ان هنالك فارق بين "القدر" و "القضاء "

أما القضاء عند اهل لغة هو "الحكم" والقدر عندهم يطلق على "التقدير".

وخلاصة القول في القدر<هو ما قدره الله في علمه الأزلي من أمور تتعلق بالخلق> وذلك كما ورد في الحديث القدسي
{ اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال رب ماذا اكتب ؟ قال الله: اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة}
عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : إن الله قدر مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء "
ويقول الحق تبارك وتعالى { فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ}

واما خلاصة القول في القضاء: هو سريان ما حكم الله به وقدره في الازل على خلقه.

واما الرضا كما عرفه بعض العارفين (سكون القلب تحت مجاري الأحكام)

ان كان الصبر حبس النفس عن الجزع والسخط فان الرضا هو ان تر كل هذا بعين النعمة والشكر وهو ما يعرف باسم الرضا عن الله ويمكنك القول اخي الحبيب ان الرضا "عن الله" يتضمن في طيه "الرضا بالله"

قال الصادق المعصوم << ذاق طعم الإيمان مَنْ رضيَ بالله ربَّاً ، وبالإسلامِ ديناً ، وبمحمدٍ رسولاً >>

ولتعلم وفقني الله واياك ان الرضا منزلة فوق منزلة الصبر بل انه باب يلج منه العبد الى ساحات الشكر فإن منتهى الجلال جمال و منتهى الجمال كمال فإن الصبر جلال والرضا جمال والشكر كمال

يقول الحق تباركوتعالى{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} ويقول الحق{ مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ} ولتعي انه من مقتضيات الرضا التسليم لله فيما يجريه عليك من الأحكام يقول الحق { وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.

والتسليم ينقسم الى:-

١. تسليم للحكم الشرعي المنزل على خير الأنام في كتاب الله وسنة حبيبة صلى الله علية وسلم

يقول الحق { مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}

ويقول الحق { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً}

٢. التسليم بمجاري الأحكام الكونية التي يجريها الله على عبادة من امراض وضيق في الأرزاق وما شابه ذلك من الابتلاءات وهذا الذي علية المقام والكلام لأن جهل الإنسان بمراد الله له يجعله في دائرة الناقم على حكم الله الذي اجراه علية يقول الحق {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}

ويقول الحق { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

فإن حكم الله في خلقه هو الخير بعينة وهذا ما اثبته الواقع في انه كم من الأمور يسعى وراءها الإنسان طالبا لها من حيث لا يدري انها هلاك له وكم من امور يتوارى عنها وهو لايدري انها خير له

يقول الحق { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} ويقول { فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً}

ولتعلم انه كم من محنة موجبة للمنحة ففي البلايا تكمن العطايا يقول الحق { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً } وكما قالوا لايغلب عسرا يسرين

فالتسليم من وجهة نظر العبد الفقير الى الله هو (ان تطرح نفسك بين يدي الله دون تحكم لخواطرك فيما يقضيه الله عليك من سريان الأحكام مع لزوم الرضا). .

يقول الناظم رحمه الله

لا تدبر في شيء حيلا ٦ فيها تهوى من على الدرج

الشرح:-

يقول الحق { يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ }
اعلم ان الحق تبارك وتعالى شرع لخلقة من الأسباب ما تهيء لهم السبيل الى ما يرومون فعلينا ان ناخذ في تلك الأسباب دون الإعتقاد فيها أو الإعتماد عليها فإن الأخذ بها من اسباب التوكل علية سبحانه وتعالى
وانظر لقول الحق تبارك وتعالى { وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً}
فهذة هي العذراء بعد ان وضعت كلمة الله عيسى علية السلام ولتتصور معي هذا المشهد إمرأة بعد وضع وليدها كيف يكون حالها ومع ذلك يقول لها الحق { وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخلَةِ} فكان من الممكن ان يأتي الله لها بالرطب دونما جهد منها كما فعل معها من قبل يقول الحق {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ} ولكن يريد الحق أن يعلمنا درسا في الأخذ بالأسباب فإن العذراء اخذت في السبب وهو هز جزع النخلة وكان تصريف السبب مرده الى مسبب الأسباب فقال الحق { تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً} وفي قراءة الإمام نافع { تَسَاقط} فعلى المؤمن الأخذ في الأسباب وقد خاب وخسر كل من تحايل على الأسباب
يقول الامام الطحاوي في متن العقيدة الطحاوية <<قد يظن الناس ان التوكل ينافي الاكتساب.وتعاطي الأسباب>>
فالأخذ بها واجب والإعتقاد فيها شرك لذلك اشار الناظم بقولة (فيها تهوى من على الدرج) , فإن الولي لايرى الأسباب وإنما يرى مسببها فإن إنصرف إلى الأسباب إنقطع عن رب الأسباب , وإن فنى عن الأسباب تجلى له رب الأسباب تجلي عرفان لا تجلي مشاهدة وعيان و هذا هو عين التوكل على الحق تبارك وتعالى
يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا » .
ويقول ذو النون المصري في التوكل ((هو ترك تدبير النفس والإنخلاع من الحول والقوة , وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم ان الحق سبحانه يعلم ويرى ماهو فية))
وقال ابن عطاء ((التوكل ان لا يظهر فيك انزعاج الى الأسباب مع شدة فاقتك اليها ولا تزول عن حقيقة السكون الى الحق مع وقوفك عليها)).
فإن التوكل على الله يدعونا لحسن الظن في الله فكيف يتصور أن تتوكل على من ساء ظنك به أو داخلك ريب في قدرته وعلمة فإن التوكل على الله يجلي لنا إثبات صفات الله من القدرة و القيومية والرزق و السمع و البصر الى آخر صفاته سبحانه وتعالى .
يقول الحق تبارك وتعالى { وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ}
وتجلي لنا هذة الأية العظيمة أن التوكل هو ثمرة الأيمان بالله و الرضا به سبحانه ربا مدبرا معينا , وكما أن التوكل هو ثمرة توحيد الربوبية , فإن لتوكل ثمرات وهي التسليم و التفويض يقول المصطفى صلاة الله وسلامه عليه (اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِى إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِى إِلَيْكَ)
فلا يكون التسليم والتفويض الا بعد حصول التوكل علية سبحانه وتعالى

ولله در سيدي العربي بن السائح فيما قال:-

حسبي العليم بكنه حالى كافيا   في كل ما أرجوه أو أخشاه

يا حي يا قيوم يا من كلما   ناداه مضطرا أجاب دعاه

انت الجليل الفرد و الصمد الذي   يعطي الذي يدعوه كل مناه

يقول الناظم رحمه الله:-

واصبر فيما قد عراك وكن	٧	ماسكا بعراه لدى العرج
فالصبر عواقبه حمدت	٨	وهو أمر أمر من الحدج

الشرح:-

اشار الناظم رحمه الله هنا بقوله (واصبرفيما قد عراك) الى قول الحق تبارك وتعالى {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ }

وعليه وقبل ان ندور معا في فلك الصبر والصابرين وجب اولا ان نعرف هذه الكلمه صغيرة المبنى كبيرة المعنى فمعنى الصبر لغة هو "حبس النفس وكفها " وقيل "الصبر هو حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والقلب عن السخط."

ولتعلم ان الصبر ينقسم بعتبارين

اولا:- صبر على مجاري الاحكام الكونية

وهو ما تضمنه قول الحق سبحانه {ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين } وكذلك قوله سبحانه {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ }

فإن الصبر على مجاري الاحكام الكونية هو تنفيذ لماقدره الله من الاقدار وكتبه القلم في اللوح المحفوظ

فصبرك هو حبس نفسك عن الجزع فيما قضاه الله عليك .

وصبر لا يكون الا عند الصدمة الاولى اي انه لا يظهر مظهر الصبر عليك الا لحظه وقوع القضاء فإما ان تكون صابرا واما ان تكون جازعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله سبحانه: ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرض لك ثوابا دون الجنة) رواه ابن ماجة

وايضا فيما روي عن انس رضي الله عنه انه قال مر النبي صلي الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال: ((أتقي الله واصبري)) فقالت إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي صلي الله عليه وسلم فأتت باب النبي صلي الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: ((إنما الصبر عند الصدمة الأولي))

وقال ذو الون المصري: "الصبر التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، واظهار الغنى مع حلول الفقر بمساحات المعيشة".

وقال ابراهيم الخواص: "الصبر هو الثبات مع الله تعالى وتلقي بلائه بالرحب والدعة ."

وقال ابن عطاء: "الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه البخاري "من يرد الله به خيراً يصبْ منه" لتعلم اخي الحبيب ان ما اصابك من هم وغم وكدر ومصيبة في مال او اهل او نفس هي الخير بعينه وان هذا خير اراده الله لك ولكن شريطة ان تصبر وتحتسب وقرأ معي حديث

رسول الله الذي اخرجه الامام الترمذي اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير" وذلك لأننا كما تعرضنا في شرح الابيات السابقة ان الرضا مقاما اعلى من مقام الصبر

إذا هنالك سؤال يدور في اذهان بعض منا بل ان هنالك مقالة قد تسري على السنة البعض منا وهي "اللهم ارزقنا الصبر" لقد استدل هل العلم على كراه سؤال الله الصبر وذلك استدلال بحديث رسول الله (قال على رضي الله عنه: اللهم إني اسالك الصبر، فقال صلى الله عليه وسلم "لقد سالت الله البلاء فسله العافية") وذلك لان الصبر لا يكون الا على البلاء.

ولكن قد يعلم الانسان نفسه الصبر على ما اجراه الله تبارك وتعالى من قضاء قدره على عبده وذلك يتضح معنا في حديث رسول الله الذي اورده الامام البخاري (ومن يتصبر يصبره الله). وان نظرنا من جانب اللغة فان ورود كلمة يتصبر اي يتعلم الصبر فهو مصطبر فاذا الصبح الصبر حالا للإنسان يكون مصابر يقول الحق سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

ثانيا:- صبر على مجاري الاحكام الشرعية

وهي ايضا تنقسم بعتبارها الى نوعان :-

١- الصبر على ما شرع الله وهو الصبر على الطاعة

{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}

فصبر على طاعة الله او اجل انواع الصبر لانه يتعلق بالمكتسبات اما الصبر على البلاء فهو امر ليس للعبد يد فيه يدور معه حيثما وقع وانظر معي اخي الكريم الى كلمة "واصبر" لقد جاءت هنا بصيغه الامر ومن المعلوم عند علماء الاصول ان غالب استخدام فعل الامر يكون للوجوب ويقول الحق سبحانه (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ)

٢- الصبر عما نهى الله وهو الصبر عن المعصية

إن الصبر عن المعصيه يستوجب استحضار العبد لمقام المراقبه الذي قال فيه رسول الله (فغن لم تكن تراه فإنه يراك)
حتى يستشعر العبد معنى الحياء وان لايقدم على فعل يستوجب غضب الله عليه فإن كنت تقول انك تحب الله فإن من موجبات تلك المحبه ان تقدم على كل امر يحبه المحبوب وان تقصى نفسك عن كل امر يوجب غضب المحبوب
فان الصبر يورث صاحبه نورا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (الصبر ضياء)
وقرأ لقول النابغة الذبياني

تعصي الإله وانت تظهر حبه   هذا لعمرك في المقال بديع
لوكنت تصدق حبه لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

ولقد ذكر ابن القيم رحمه الله ان للصبر مراتب وذكر منها ثلاثة مراتب

الأولى :-

الصبر بالله، قال تعالى :وَاصبِر وَمَا صَبرُكَ إلا بِاللّهِ يعني: إن لم يُصبرك الله لم تصبر .

الثانية :-

الصبر لله، وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله تعالى{ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُط }

الثالثة :-

الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مراد الله منه ومع أحكامه

قال عبد الله الحارثي :

اصبر على الدهر إن أصبحت منغمسا   بالضيق في لجج تهوى الى لجج

لا تيأسن إذا ما ضقت من فرج   يأتي به الله في الروحات والدلج

فما تجرع كأس الصبر معتصم   بالله إلا أتاه الله بالفرج

يقول الناظم رحمه الله:-

واشكر مولاك على نعم ٩ فهي بحر غدا طامى اللجج

الشرح:-

يرشدنا الناظم رحمة الله تعالى الى بستان عظيم من بساتين الادب مع الحق تبارك وتعالى وهو التحلي بنعمة الشكر نعم انها نعمة من اجل النعم بل هي النعمة التى تدوم بها النعماء يقول الحق سبحانه وتعالى (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) ويقول ايضا (وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) لذا وجب علينا ان نتعرف على معنى الشكر حتى نتمكن من القيام بهذه العباده العظيم وهي شكر الله على نعمه التى اغدق بها علينا واولانا .

يقول اهل اللغه الشكر هو "الظهور" وقيل "ايضا الثناء على المحسن بما أولاك من المعروف "

وعرفه الامام زين الدين المناوي حيث قال " الشُّكر شُكران: شُكر باللسان وهو الثناء على المنعم، والآخر شُكر بجميع الجوارح، وهو مكافأة النِّعمة بقدر الاستحقاق، والشُّكور الباذل وسعه في أداء الشُّكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقادًا واعترافً"

ولتعلم ان الشكر جائز في حق الله وفي حق العبد على عكس الحمد فهو جائز في حق الله ولا يجوز في حق العبد ولووقفنا سريعا مع معنى الحمد والشكر نقول كما اخبر علماؤنا الحمد هو الشكر باللسان بينما الشكر هو حمد الجوارح والاركان . و بهذا فإن الشكر يزيد عن الحمد بجانب العمل (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ) وقال الحق (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) فالحمد اخص من الشكر و الشكر اعم من الحمد

يقول ابن عطاء:" من لم يشكر النعمة فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها"

وعليه ايضا فإن الشكر ينقسم بعتبار مؤداه الى

١- شكر من الله الى العبد

وهو الرضا والثواب من الله على عبده يقول الحق (وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) ويقول في موضع اخر (فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا)

٢- شكر من العبد الى مولاه

وهو الثناء على المحسن بما اولى من نعم على المحسن اليه مصحوبا بالحمد

٣- شكر من العبد الى العبد

هو إظهار الثناء على الإنسان لإحسان أو نعمة ولاكن غير مصحوب بحمد يقول الحق (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ)

وينقسم الشكر ايضا عند اهل العلم بحسب مراتبه الى ثلاثة اقسام

اولا: -شكر اللسان

فهو التحدث بنعم الله تعالى على العبد امتثالاً لقوله تعالى: (وأمَّا بنعمَةِ ربِّكَ فَحَدِّثْ)

وقال صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه الامام احمد (التحدث بالنعم شكر ، وتركها كفر) وقصد بكلمة كفر اي انكارا للنعمة وجحودا بها ولكن لهذا الامر ضوابطه حتى لا يكون الامر في مرمى العجب والخيلاء

ثانيا :- شكر الاركان

وهو مرحله ينتقل فيها العبد من مرحلة شكر اللسان الى الشكر بكافه الجوارح لله تعالى، قال تعالى {اعملوا آلَ داودَ شُكْراً} ولقد نقل لنا هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصورة عملية من اروع الصور ، حين كان يقوم الليل، كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه، فقلت له: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: "أفلا أكون عبداً شكوراً"

ولله در شيخنا البصيري حين قال

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلاَمَ إلَى*** أَنْ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ

وهذا النوع من الشكر يجسد حقيقة الرضا عن الله حيث ينشغل العبد بهذا المقام من مقامات الشكر فإذا فني العبد في هذا انتقل الى المقام التالي وهو اعلى مقامات الشكر

ثالثا:- شكر الجنان

وهو ان ترجع كل نعمة في هذا الكون أنعم بها على احد من الخلق الى الله تبارك وتعالى تصديقا لقول الله تعالى (وما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ)

فلا تحجبك رؤية الصور عن المصور ولا التنعم بالنعم عن المنعم ، ولقد ارشدنا حبيب الرحمن الى هذا المعنى العظيم حيث قال: "من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحدٍ من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته"

قال الشبلي رحمه الله تعالى: (الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة) وهذا هو شكر العارفين وهي اعلى مراتب الشكر

ولتعلم اخي الحبيب ان للشكر اركان يقوم بها وهي ثلاثه اركان

١. النعمة "وهي ما انعم به المنعم على المنعم عليه "
٢. المنعم "وهو صاحب النعمة "
٣. المنعم عليه "هو من تلقى النعمة"

يقول الناظم رحمه الله:-

عليه اعتمد لا على عمل ١٠ وتعلم وعمل فتبتهج

الشرح:-

رحم الله الناظم حيث عرج بنا الى قاعدتين هامتين وهما ان الانسان منا يجب عليه سلوك سبيل العلم وان ثمرة هذا العلم هو العمل به ثم ان هذا العلم والعمل لايجب على الانسان ان يغتر بهما ويجعلها تفاخرا وذلك لما جاء في حديث رسول الله مما اخرجه الامام البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لن ينجي أحداً عملُه " قالوا *ولا أنت يا رسول الله* ؟ قال *:ولا أنا* إلا أن يتغمدني الله منه برحمة. "

فقد لاح هذا الحديث الشريف عن سلوك قد يؤدي بالمسلم الى فقدان ثواب العمل وهو الاغترار بالعمل وجاء هذا المعنى جلي في حديث رسول الله " إن أحدكم أو الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها"

وهذا ما اشار اليه الناظم رحمه الله تعالى بقوله ((عليه اعتمد لا على عمل)).

ثم انتقل الناظم رحمه الله الى القاعده الثانيه وهي طلب العلم والعمل بمعلوم هذا العلم حتى يحظى المرء بالسعاده في الدارين وعليه فإن هذه القاعده تحمل ركيزتان اساسيتان الاولى وهي طلب العلم والثانيه وهي العمل بمقتضى هذا العلم

ولتعلم اخي في الله كما عرفه الحافظ ابن عبد البر فقال: "حد العلم عند العلماء هو ما استيقنْته وتبينْته، وكل من استيقن شيئا وتبينه فقد علمه" وقال فيه ايضا علماؤنا ان العلم هو "ادراك الشيء على ما هو عليه ادراك جازما " وهو نقيض الجهل

والجهل نوعان جهل بسيط وهو عدم العلم مطلقا، أي انتفاء إدراك الشيء المعلوم كلية

والجهل مركب: وهو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع، أي يتصور الشيء المعلوم ويعتقده على غير هيئته، فكان مركبا من أمرين:-

١- عدم العلم بالشيء
٢- اعتقاد مخالف للواقع

وقد نظم الشيخ العمريطي في نظمه لورقات إمام الحرمين الجهل بنوعيه فقال: -

الجهل قل تصور الشيء على **** خلاف وضعه الذي به علا

وقيل حد الجهل فقد العلم **** بسيطاً أو مركباً قد سمي

بسيطة في كل ما تحت الثرى **** تركيبه في كل ما تصورا

ولقد حث الحق سبحانه وتعالى على العلم حيث خاطب نبيه في محكم التنزيل (*فاعلم أنه لا إله* إلا الله واستغفر لذنبك) وقد أبرز الله اهل العلم وزكاهم حيث قال تعالى ((إنما *يخشى الله من عباده العلماء* إن الله عزيز غفور)) والخشية بقدر معرفة عظمه من تخشى.

وفي الحديث ((إن *الملائكة لتضع أجنحتها* لطالب العلم رضا بما يصنع))

فالعلم هو سراج العقل ومن دونه يفقد العقل روحه التى تمدده بالحياة

ولله در من قال

العقل والعلم فى يوم قد اختلفا ... من فيهما الذي قد أحرز الشرفا
العلم قال أنا أدركت غايته ..... والعقل قال بي الرحمن قد عرفا
فأطرق العلم اطراقاً وقال له ... من منا الذي به الرحمن قد اتصفا
فأدرك العقل أن العلم سيده .... وقبل العقل رأس العلم وانصرفا

وعليه فإن العلم قد قسمه علماءنا الى قسمين

القسم الأول: علم ضروري

وهو العلم الذي يدركه الإنسان عن طريق الحس والمشاهدة

القسم الثاني: علم مُكتسَب.

بمعنى أنه يحتاج إلى أدلة للحصول عليه هو متمثل في العلم الدنيوي والديني اما العلم الديني فهو كامل : لا يوجد مجال لأكتشاف أمور دينية جديدة لقولة تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم و رضيت لكم الإسلام دينا)

من العلماء من يقسم العلم إلى قسمين اخرين

- دنيوية، وهي العلوم التجريبية
- دينية، التي لا يمكن أن تحصل إلا عن طريق الوحيين (الكتاب والسنة) وإن كان هذا العلم الديني يتعلق بصلاح الدنيا والاخره معا

ولقد اضاف بعضهم تقسيما اخر وهو العلم الوهبي فقالوا هو (هبة من الله لعبادة المتقين) فهذا النوع من العلم لا يكون إلا بتقوى الله و العمل الصالح فقط حيث قال الحق (واتقوا الله و يعلمكم الله) ويطلق عليه ايضا مسمى اخر هو " العلم اللّدُني " لقولة تعالى(وآتيناه من لدنا علماً) فهو ذلك النور الذي يجعله الله في قلوب الصالحين والعاملين المهتدين فيفتح الله له من بركاته (*ولو أن أهل القرى* آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) و قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يفقهه *في الدين*) أي أن الله هو الذي يجعله يفقه الأمور و هو فضل من الله وهاك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من روايه ابي امامه قال صلي الله علية وسلم (اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله) وان اختلف اهل العلم والفضل في تضعيف وتحسين هذا الحديث الا ان معناه صحيح وثابت وايضا قال النبي صلى الله عليه وسلم :" إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم"

ولتعلم اخي الحبيب ان هذا النور الذي يلقى في القلب وهو نور المعرفة يزيد وينقص بقدر الطاعة والتقوى وينقص بالمعاص ولله در حجه الزمان الامام الشافعي حين قال :-

شكوت إلى وكيع سوء حفظي *** فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور***ونور الله لا يُهدى لعاصي

وقال ابن القيم مخبرا ان للعلم مراتب ست وهي

أولها: حسن السؤال.

الثانية: حسن الإنصات والاستماع.

الثالثة: حسن الفهم.

الرابعة: الحفظ .

الخامسة: التعليم.

السادسة: - وهي ثمرته - وهي العمل به ومراعاة حدوده.

فإن الانسان يركب سفينه العلم ويبحر في بحار المعرفه كيما تصل به الى بر العمل فالعمل هو ثمرة يقتطفها المرء من شجرة العلم التى سقيت بماء الاخلاص

يقول الحق سبحانه

(وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

وقال الحق ايضا (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ)

وكفى بحديث رسول الله خير دليل على وجوب الاخلاص في القول والعمل اخرجه البخاري من حديث ابي حفص عمر بن الخطاب

(*إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى*)

وقال بعض الحكماء: العلم خادم العمل والعمل غاية العلم فلولا العمل لم يطلب علم ولولا العلم لم يطلب عمل ولأن أدع الحق جهلاً به أحب إلى من أن أدعه زهدا فيه.

وفي ذلك المعنى أنشدنا محمد بن أبي علي الأصبهاني قائلا :-

إعمل بعلمك تغنم أيها الرجل *****لا ينفع العلم إن لم يحسن العمل

والعلم زين وتقى الله زينته********والمتقون لهم في علمهم شغل

يقول الناظم رحمه الله:-

و رجع لله لدى جلل	١١	أو جليل جلال منه يجي
و لتثق بالله فإن له	١٢	لطفا في مزلقك الحرج
ما انفكت الطافه ابدا	١٣	عن باد و خاف مدى الحجج

الشرح:-

يقول ابن القيم
(العبد دائماً مُتقلب بين أحكام الأوامر وأحكام النوازل، فهو مُحتاج بل مضطر إلى العون عند الأوامر وإلى اللطف عند النوازل) [الفوائد]
إن حياة الإنسان لا تسير وفق نسق واحد فكل منا يتقلب بين الشدة والرخاء بين الكرب و الفرج هذه هي سنة الله في خلقه كيا يمحص المؤمنين يقول الحق {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} ويقول الحق{ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}
فكانت هذه الدنيا منزل الابتلائات و محل الكربات قال رسول الله صل الله عليه وسلم { الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ } فما كان من أهل الإيمان إلا ان يهرع كل منهم إلى الله سواء في طلب منفعه أو في دفع مضرة عملا
يقول الحق سبحانه وتعالى في محكم التنزيل { أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلا مَّا تَذَكَّرُونَ} فإن رجوع المؤمن إلى الله في كل شيء هو عين الإيمان وخلاصة التوحيد ويتجسد هذا المشهد النوارني في قول الله سبحانه { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} هذه الآيه التى تصف مشهد إنخلاع المؤمن من حوله وقوته القاصرتين إلى حول وقوة من بيده ملك كل شيء { فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } فستشعار المؤمن بالإفتقار الى الله سبحانه وتعالى يشعره بضرورة الرجوع اليه في كل قصد وطلب وهذا إنما يتجلى في نفس المؤمن يقينا منه وثقة منه في الله سبحانه وتعالى تحقيق لصفة الربوبيه ولنا في قصة نوح عليه السلام إشارة عظيمه إلى معنى التخلي و التحلي التخلي عن الحول والقوة الإنسانية و التحلي بالحول والقوة الربانية يقول الحق سبحانه { فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ} فما لبث النداء حتى أجابه الله {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ} .
وهذا يستلزم يقينا في من تدعوه ولقد جاءت النصوص في هذا الشأن ففيما اخرجه الترمذي "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" :ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ".
ولتعلم أن هذا اللطف إنما سميا لطفا لخفيته و تستره فياتيك اللطف من الله من حيث لا تدري السبيل يقول الحق { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } يقول الحق حكاية عن اصحاب الكهف { وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا}

ومما قاله ابن الفارض في معنى أن اللطف هو الشيء الدقيق الخفي المتستر

أخفيتُ حبّكُمُ فأخفاني أسى	حتى، لعَمري، كِدتُ عني أختَفي
وكَتَمْتُهُ عَنّي، فلو أبدَيْتُهُ	لَوَجَدْتُهُ أخفى منَ اللَّطْفِ الخَفي

وفيما ينسب للإمام علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال

وكم لله من لطفٍ خفيّ** يَدِقّ خَفَاهُ عَنْ فَهْمِ الذَّكِيّ

وَكَمْ يُسْرٍ أَتَى مِنْ بَعْدِ عُسْرٍ** فَفَرَّجَ كُرْبَةَ القَلْبِ الشَّجِيّ

وكم أمرٍ تساءُ به صباحاً** وَتَأْتِيْكَ المَسَرَّةُ بالعَشِيّ

إذا ضاقت بك الأحوال يوماً**فَثِقْ بالواحِدِ الفَرْدِ العَلِيّ

وَلاَ تَجْزَعْ إذا ما نابَ خَطْبٌ ** فكم للهِ من لُطفٍ خفي

يقول الناظم رحمه الله:-

و بربك ظن الخير و لا	١٤	تنوظن الاشرار و الهمج
فهو مولى الاحسان لا احد	١٥	مثله مولى من بالفرج
لا تفزع بالشكوى الى غيره	١٦	وله اهرع في كل الحرج

الشرح:-

وجب علينا قبل الكلام عن حسن الظن في الله أن نقف قليل مع معنى "الظن" والمعاني التى ورد بها في القرآن الكريم

اولا:- معنى الظن لغة

هذه الكلمة من معاني الأضداد ياتي للمعنى وضده والمشهور هو معنى الشك واليقين وهي من افعال القلوب لانها تتعلق بعمل القلب ومصدر ظنّ ، الشَّيْء ظنا علمه بِغَيْر يَقِين وَقد تَأتي بِمَعْنى الْيَقِين ويستعمل في الشكّ واليقين والعلم، وقيل لا يصل إلى مستوى العلم ، كقوله تعالى{ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ } ومنه المَظِنّة بكسر الظّاء للمعلم وهو حيث يعلم الشّيء ، والجمع المظانّ ، قال ابن فارس مظنّة الشّيء موضعه ومألفه ، والظّنّة بالكسر : التّهمة .

ثانيا:- معنى الظن إصطلاحا

كما عرّفه الجرجاني - هو : الاعتقاد الرّاجح مع احتمال النّقيض ، ويستعمل في اليقين والشك

ثالثا:- معاني الظن في القرآن

١. الشك كقوله تعالى: { إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين}، {ما لهم به من علم إلا اتباع الظن}
٢. اليقين كقوله تعالى: {وظنوا أنهم واقع بهم} {وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه}
٣. التهمة كقوله تعالى: {وما هو على الغيب بظنين} على قراءة الظاء
٤. الحسبان كقوله تعالى: {إنه ظن أن لن يحور}
٥. الرجحان كقوله تعالى: {إن ظنا أن يقيما حدود الله} {وقال للذي ظن أنه ناج منهما}
٦. العلم كقوله تعالى: {وظن داود أنما فتناه}
٧. الاعتقاد كقوله تعالى: {ذلك ظن الذين كفروا}،{وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم}

وعليه فإن حسن الظن بالله هو عملا قلبي يوجب إعتقادا وذلك لحمل الظن هنا على معنى اليقين الذي يتوجه فيه القلب بصدق اليقين على الرب المعين وهذا من باب الرجاء فيما عند الله من الخير .

ولقد وردة النصوص بوجوب حسن الظن في الله فيما اخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : " أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإ خير منهم ، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة.

بل إن من الاخبار ما تثبت أن حسن الظن في الله من مراتب الإيمان بالله ما اخرجه الامام مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام ، يقول : " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل " .

وما اخرجه الامام احمد و الحاكم وابن حبان عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن حسن الظن من حسن العبادة"

قال الحسنُ في قوله عز وجل:

{هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ} إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وإن المنافق أساء الظن فأساء العمل .

فإن حسن الظن بالله يجب أن يصحبه حسن الأدب وعدم التواكل وهو ما يسميه اهل العلم الإرجاء بل يلزم معه العمل

قال مكحول: (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد) .

ولقد جاءت النصوص في وصف هذا المشهد وهو الموازنه بين الخوف والرجاء فيما عند الله وهو من باب حسن الظن بالله ففيما اخرجه الامام مسلم عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد "

ولتعلم اخي الحبيب ان حسن الظن بالله يوجب الإحسان من الله على العبد ولنا شيء من الإشارة الى هذا المعنى في قول الحق سبحانه وتعالى

{ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ }

ولذا أشار المصنف رحمه الله تعالى الى هذا المعنى حيث قال ((فهو مولى الاحسان))

والإحسان هو :-

الإِحْسَان ضِدُّ الإساءة. مصدر أحسن أي جاء بفعل حسن و الحسنه ضد السيئة

وفي الإصطلاح هو:-

وقال الراغب: (الإحسان على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير، والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا حسنًا أو عمل عملًا حسنًا) وقال الجرجاني: (الحسن هو كون الشيء ملائمًا للطبع)

ولتعلم ان الإحسان ينقسم الى قسمان :-

اولا:- إحسان من جهة المخلوق وهو بعتباره ينقسم الى قسمين

١. **إحسان في عبادة الخالق**: وهذا مداره حديث جبريل عليه السلام
٢. **إحسان إلى الخلق** :هو بذل جميع المنافع من أي نوع كان.

ثانيا:- إحسان من جهة الخالق إلى المخلوق

وهذا ما عليه المقام هنا والمقصد فإحسان الله الى العبد صفة من صفات الله التى تشمل رحمة الله بالعباد وتحقيقا لحسن ظن العبد بربه وإقامة العبد قلبه حارسا في مقام المراقبه و مؤنسا في مقام المشاهده الوارد ذكرهم في حديث جبريل المعروف .

وإن من جميل معاني وصور الإحسان من الله سبحانه وتعالى على العبد ما اخرجه الامام مسلم عن أبي ذر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى ، عن الله تبارك وتعالى ، أنه قال : " يا عبادي : إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا ، يا عبادي : كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي : كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي :

كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي : إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفروني أغفر لكم "

بل إنه لمن جميل الحسن و عظيم الإحسان الذي يغدق به الله على عباده انه يجعلهم ينظرون الى وجهه الكريم يوم القيامة
قال الحافظ ابن رجب رحمه الله بعد ذكره لهذه الآيات { لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } قد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل في الجنة ، وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان، لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى الله عيانا في الآخرة.
وعكس هذا ما أخبر الله به عن جزاء الكفار في الآخرة: { كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ }وجعل ذلك جزاء لحالهم في الدنيا، وهو تراكم الران على قلوبهم، حتى حجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا، فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته في الآخرة .
وقال أبو العباس القرطبي رحمه الله: (ولما تكرر الإحسان في القرآن، وترتب عليه هذا الثواب العظيم، سأل عنه جبريل النبي صلى الله عليه وسلم. فأجابه ببيانه، ليعمل الناس عليه، فيحصل لهم هذا الحظ العظيم) .
وعليه احبتي في الله فإن إحسان الله سبحانه الى عبده يستوجب ان يفزع ويهرع قلب هذا العبد الى الله في كل مقصد ومطلب وهذا ما اشار إليه الناظم بقوله ((لا تفزع بالشكوى الى غيره)) فإن من حسن الظن بالله وإتمام لمقام الاحسان الذي يرقاه العبد تجاه مولاه سواء بالوقوف على اول منزلة منه وهي المراقبه او في حال الترقي الى المشاهده كان مما يلازم حسن ذلك هو سؤال الله في كل مقصد تحقيقا لقول الحق سبحانه { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ونظر الى نبي الله يعقوب وهو يبكي يوسف الصديق حيث يبث ما به من الم الى الله يقول الحق سبحانه {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ}

يقول الناظم رحمه الله:-

كل شيء هالك إلا وجــــ	١٧	ـــه الحق فلا تكن في لجج
كل نفس ذائقة الموت	١٨	تأتي إليه و لو كان في برج

الشرح:-

أشار الناظم هنا رحمة الله إلى قول الحق تبارك وتعالى {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} وقول الحق {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} لله در صاحب البردة فيما قال

فإن أمارتي بالسوءِ ما أتعظـــــــــت **من جهلها بنذير الشيب والهـــرم

ولا أعدت من الفعل الجميل قـــــرى** ضيف ألم برأسي غير محتشــــم

وكان من حسن فقه الناظم حيث اتى بهذين البيتين يلحقان ماسبقهما من ابيات تحقيقا لمعنى عظيم ألا وهو الاحتياج لله و الافتقار له سبحانه وتعالى فإن كان هنالك نافع أو ضار أو سامعا للشكوى فهو الله الواحد الأحد الذي لا يبقى في ديمومية ملكه إلا هو ولا بقاء لمخلوق سوى الخالق حتى إن ملك الموت سوف يموت بل إن الموت نفسه سوف يذبح لما ورد في الأخبار عن ذلك فيما أخرجه البخاري من ((حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادي مناد : يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت وكلهم قد رآه ، ثم ينادي : يا أهل النار ، فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت وكلهم قد رآه ، فيذبح ، ثم يقول : يا أهل الجنة ، خلود فلا موت ، ويا أهل النار : خلود فلا موت))

فائدة

لتعلم أن الميت الحقيقي هو من لم يجعل الله له نورا يسعى به في الدنيا يقول الحق { وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ } ويوم القيامة ينقلب إلى أهل مسرورا يقول الحق تبارك وتعالى {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً}

وعلية فإن كان موت النفس في عالم المادة هو خروجها ومفارقتها الجسد فيصير الإنسان جثة هامدة فإن الموت المعنوي للنفس البشرية يكون عند اهل الإيمان على دربين

- **الأول** موت النفس بأن تتربع على عرش النفس ملكات الشهوات وحب الموبيقات والتمرغ في وحل النزوات فتصبح النفس من شدة ظلمانيتها كارهة لنور الحق الذي يمزق ظلماتها يقول الله تعالى { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}

فكانت النفس البشرية عدوا لا يجب إغفالها ولقد أورد الخرائطي في اعتلال القلوب و الطبراني في الكبير ما نصه ((عن أبي مالك الأشعري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة ، وإذا قتلته كان لك نورا ، أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك ")) وإن كانت هذه الرواية ضعيفة السند إلا أن معناها صحيح

ما أخرجه الإمام احمد والترمذي وابن حبان من حديث ((شداد بن أوس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله عز وجل))

ولتعلم أن القائم على أمر النفس ورشدها هو الحارس لها ألا هو القلب تلك المضغه التي قال عنها رسول رب العالمين وذلك فيما اخرجه البخاري من حديث ((النعمان بن بشير يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب))

ولله در من قال منشدا :-

إني بليت بأربع ما سلطوا — إلا لعظم بليتي وشقائي
إبليس والدنيا و نفسي و الهوى — والله ينصرني على الأعدائي
إبليس يسعى في سبيل مهالكي — والنفس تأمرني بكل بلاء
وجنوده حاطوا بحول مدينتي — يا عدتي في شدتي و رجائي

- **الثاني** موت النفس بمعنى أن تشرق على النفس انوار اليقظة فتكون بمثابة عصا موسى التى يضرب بها حجر الغفله فتتفجر ينابيع الأوبه فتتذوق النفس حلاوة الطاعة وذلك لا يتحقق إلا ببزوغ فجر الإنابه يقول الحق {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ }

((عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة أعاذك الله من إمارة السفهاء قال وما إمارة السفهاء قال أمراء يكونون بعدي لا يقتدون بهديي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردوا علي حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردوا علي حوضي يا كعب بن عجرة الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة والصلاة قربان أو قال برهان يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به يا كعب بن عجرة الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها))

نسـمات هواك لها أرجٌ *** تحيا وتعيش بها المهج
ما الناس سوى قوم عرفوك *** و غيرهم همجٌ همجُ

يقول الناظم رحمه الله:-

ولتسل مولاك بأسمائه ١٩ فهي والله مفتاح الشبج

الشرح:-

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فالأسماء جمع اسم ، وهو اللفظ الدال على الذات فقط ، أو على الذات مع صفة من صفاتها ، سواء كان مشتقا ، كالرحمن الرحيم الخالق الرازق ، أو مصدرا ، كالرب والسلام والعدل . والحسنى مؤنث الأحسن وهو منسوب إلى الجمال وهو اسم تفضيل مطلق .

فكيف يكون الدعاء بهذه الأسماء المقدسة المشرفة فيكون ذلك بأن تجعلها وسيلة لك عند الدعاء، فتقول: يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم! وما أشبه ذلك.

وللدعاء بهذه السماء صورة اخرى وهي أن تتعبد لله بمقتضاها، فإذا علمت أنه رحيم تتعرض لرحمته، وإذا علمت أنه غفور تتعرض لمغفرته، وإذا علمت أنه سميع اتقيت القول الذي يغضبه، وإذا علمت أنه بصير أجتنبت الفعل الذي لا يرضاه اي راقب الله وشاهده في سريان أنوار اسمائه .

قوله: {فادعوه بها}. الدعاء هو السؤال، والدعاء قد يكون بلسان المقال بان تستخدم احد آلات الدعاء ، مثل: اللهم! إغفر لي يا غفور وهكذا.

ويكون المعنى ايضا ان لله دون غيره جميع الأسماء الدالة على أحسن المعاني وأكمل الصفات ، ويشمل لفظ فادعوه أي سموه واذكروه ونادوه بها ، لمجرد الثناء ، وعند السؤال وطلب الحاجات ، فمن الذكر المحض الثناء علية تبارك وتعالى بمحض ذكر اسمائه تبارك وتعالى وانظر معي الى خواتيم سورة الحشر { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ }

ومن الذكر بصيغة النداء ما رواه الترمذي أنه - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلا وهو يقول يا ذا الجلال والإكرام فقال : قد استجيب لك فسل "

وروى الحاكم في المستدرك من حديث أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لفاطمة : ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به ؟ أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الحافظ الذهبي على ذلك .

معنى قوله((تسعة و تسعين)) وتعين العدد

وفي حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرها قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة هذا لفظ البخاري. قال مسلم : وزاد همام عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : إنه وتر يحب الوتر وفي الرواية الأخرى له : إن لله تسعة وتسعين اسما ، من حفظها دخل الجنة ، وإن الله وتر يحب الوتر (قال) : وفي رواية ابن أبي عمر " من أحصاها " اهـ .

ورواه الترمذي والحاكم من طريق الوليد بن مسلم وسردا فيه الأسماء التسعة والتسعين ، ورواه غيرهما أيضا من طريقه ، وفي سرد الأسماء اختلاف في الروايات ، وقد اختلف المحدثون في سرد الأسماء

ثم قال الحافظ : وقد اختلف في هذا العدد ، هل المراد به حصر الأسماء الحسنى في هذه ؟ أو أنها من ذلك ؟ ، ولكن اختصت هذه؛ لأن من أحصاها دخل الجنة ، فذهب الجمهور إلى الثاني ، ونقل النووي اتفاق العلماء عليه ، فقال : ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى ، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين ، وإنما مقصود الحديث أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة ، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء ، ويؤيده قوله - صلى الله عليه وسلم - في حديث ابن مسعود الذي أخرجه أحمد وصححه ابن حبان : " أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك " ، وعند مالك عن كعب الأحبار في دعاء " وأسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم "

معنى قوله((من أحصاها)) وهو يحتمل وجوها:

- أن يعدها حتى يستوفيها حفظاً, ويدعو ربه بها، استدلوا بقوله تعالى: {لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}. واستدل له الخطابي بقوله صلى الله عليه وسلم –كما في الرواية الأخرى – ((من حفظها دخل الجنة)) .

وقال النووي: قال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها, وهذا هو الأظهر لثبوته نصاً في الخبر.

وقال ابن الجوزي: لما ثبت في بعض طرق الحديث ((من حفظها)) بدل ((من أحصاها))، اخترنا أن المراد (العد) أي: من عدها ليستوفيها حفظاً.

ورد هذا القول الحافظ فقال: وفيه نظر، لأنه لا يلزم من مجيئه بلفظ ((حفظها)) تعيين السرد عن ظهر قلب, بل يحتمل الحفظ المعنوي.

وقال الأصيلي: ليس المراد بالإحصاء عدها فقط, لأنه قد يعدها الفاجر، وإنما المراد العلم بها.

وكذا قال أبو نعيم الأصبهاني وابن عطية .

- أن يكون المراد بالإحصاء (الإطاقة)، كقوله تعالى:{ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ }أي لن تطيقوه، وكقول النبي صلى الله عليه وسلم ((استقيموا ولن تحصوا..)) . أي: لن تبلغوا كل الاستقامة.

فيكون المعنى: أن يطبق الأسماء الحسنى ويحسن المراعاة لها، وأن يعمل بمقتضاها

وانظر ما قاله سيدي نورالدين الدمياطي

باسمائك الحسنى دعوتك سيدي** وجئت بها ياخالقي منوسلا
ومبتهلا ربي اليك بفضلها **وارجوا بها كل المراد المؤملا
فقابل الهي بالرضا منك واكفني** صروف زماني مكثرا ومقللا

يقول الناظم رحمه الله:-

وصرف الوقت في حسن طاعته	٢٠	واقتف المصطفى لتكون نجي
فهو باب الله لحضراته	٢١	من يردها بالغير لم يعج
كل ما جاء من نعم للورى	٢٢	فعلى يديه بالكمال تجي

الشرح:-

يقول الله تبارك وتعالى في محكم آياته

{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ }.

وقد ذكر ابن كثير في تفسيرة ما نصه هذه الأمة ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال تعالى: { فمنهم ظالم لنفسه} وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات، { ومنهم مقتصد} وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات، { ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله} وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات، قال ابن عباس في قوله تعالى: { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا } قال: هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب، روى الطبراني عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذات يوم: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) قال ابن عباس: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم، فكن من السابقين بالخيرا ولله در من قال

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع
في كل يوم يبتديك بنعمة ... منه وأنت لشكر ذلك مضيع

ولتعلم أن طاعة الله ومحبته سبحانه وتعالى لن تكون إلا في إتباع رسوله صلى الله عليه وسلم واقتفاء كل أثر من آثاره صلاة الله وسلامه عليه فهو باب الولوج وسلم العروج وقبلة المسترشدين و كعبة الموحدين

يقول الله تبارك وتعالى في محكم آياته {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

وفيما ذكر عن شيخ الطريقة وإمام الطائفة الجنيد بن محمد قدس الله روحه : الطرق كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله عز و جل يقول : " وعزتي و جلالي لو اتوني من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك".

وفيما أخرجه الإمام البخاري قال حميد بن عبدالرحمن قال سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت رسول الله صلى الله علية وسلم يقول {مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ . وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي . وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ }.

قال ابن حجر : (وهذا الحديث مشتمل على ثلاثة أحكام :أحدها : فضل النفقة في الدين . وثانيها : أن المعطي في الحقيقة هو الله . وثالثها : أن بعض هذه الأمة يبقى على الحق أبدا. والمراد من هذا الحديث أن الذي يرزق هو الله ـ عزَّ وَجَلَّ ـ وهو الذي يعطي ، وما أعطيكم من الغنائم إنما هو بأمر الله ـ عزَّ وَجَلَّ ـ فأنا مجرد مقسم للغنائم وفق ما أمر الله ـ عزَّ وَجَلَّ ـ فالله هو الذي يعطيكم .
ويوضحه أكثر ما أخرجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : ((مَا أُعْطِيكُمْ ، وَلَا أَمْنَعُكُمْ ، إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ ، أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ . ((فقوله: (ما أعطيكم ولا أمنعكم) في رواية أحمد (والله المعطي . (والمعنى : أني لا أتصرف فيكم بعطية ، ولا منع برأيي .
وقوله : (إنما أنا القاسم أضع حيث أمرت) أي لا أعطي أحدا ، ولا أمنع أحدا إلا بأمر الله . ويوضحه لفظ أبي داود (إن أنا إلا خازن) .

يقول الناظم رحمه الله:-

وبه بشرت سائر الانبياء	٢٣	و ببشراهم سر كل شجي
وبه الاولياء صلوا وغدا	٢٤	في الهدى صحبة مثل السرج
فسأل غني الدارين به	٢٥	تحرز المقصود بلا حرج

الشرح:-

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}

ولقد اخرج الطبراني من حديث ميسرة الفجر "كنتُ نبيًّا وآدمُ بينَ الرّوح والجسد" ويقول الحق على لسان عيسى عليه السلام{ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ }ولقد وصل اهل الفضل من صحابة رسو الله و من اتبعهم من أهل العرفان إلى المعارف و العلوم بإتباعهم له صل الله عليه وسلم واتباع شريعته صلى الله عليه وسلم فما غرف الصحب الكرام من مناهله صلى الله عليه وسلم إلا بقتفاء أثره في كل شيء

فهذا الفاروق عمرو ففيما أخرج البخاري ((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ زَادَ زَكَرِيَّاءُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ سَعْدٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ))

وهذا ايضا الصحابي الجليل شبية الملائكة عمران بن الحصين أنه رضي الله عنه أصيب بمرض ويقال أنه البواسير. وكان الرسول عليه السلام قد نهى عن الاكتواء.فظل ثلاثين عاما وهو مريض. والملائكة تسلم عليه وتصافحه فلما اكتوى انتهت الملائكة عن مصافحته.فما اكتوى بعدها ورجعت الملائكة تصافحه عليه رحمة الله ورضي الله عنه وأرضاه

أخرج الإمام أحمد وغيره بسند صحيح عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ادع الله أن يعافيني . فقال صلى الله عليه وسلم : (إن شئت دعوت لك ، وإن شئت أخّرتُ ذاك ، فهو خير لك. [وفي رواية : (وإن شئتَ صبرتَ فهو خير لك)] ، فقال : ادعهُ. فأمره أن يتوضأ ، فيحسن وضوءه ، فيصلي ركعتين ، ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك ، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهتُ بك إلى ربي في حاجتي هذه ، فتقضى لي ، اللهم فشفعّه فيَّ وشفّعني فيه) . قال :ففعل الرجل فبرأ.

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه *** إذ قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله *** فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة *** من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا *** ولاح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا نارا وبشر جنة *** وعلمنا الإسلام فلله نحمد

يقول الناظم رحمه الله:-

ناده في نادية او غيره	٢٦	فيمد لك الخير كالثبج
ياخير خلق الله ونقذهم	٢٧	من رداهم في الموقف الحرج
كن لي في الأوحال بما	٢٨	يصلح الأحوال من الخمج
كن لي شافعا آخذا بيدي	٢٩	يوم يؤتى بالشخص كالبذج

الشرح:-

هذه الأبيات السابقات لنا معها وقفة تدبر وتأمل حتى نصل إلى فهم ما ترمي إليه دون غلو أو مغالاة فسامحوني إن أطلت في هذا الميدان.

قد صرح الكثيرون من أهل السنة بأن النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره حياة برزخية لا يعلم كنهها وكيفيتها إلا الله سبحانه، يسمع بها سلام المسلم عليه عندما يرد الله عليه روحه ذلك الوقت، كما في الحديث الذي رواه أبو داود بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام))، وخرج البزار عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام))، وأخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تجعلوا قبري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)).

ولي هنا وقفه مع الحديث الأول انظر الى لفظه "أحد" وهذا يعني ان اي احد كان ماكان من انس او جن او ملك يصلي عليه فإن الله يرد عليه روحه صلى الله عليه وسلم ليرد عليه وإن جمعنا ما بين هذا الحديث وقول الله تعالى { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ}

ومن المعلوم عند اهل اللغه أن الفعل المضارع يفيد الإستمراريه و ورود كلمة "يصلون" هنا بصيغة المضارعه تفيد إستمرار الصلاة من الله والملائكة عليه صلى الله عليه وسلم –وخلاصة القول – ان روحه صلى الله عليه وسلم مردودت في جسده على الدوام .

ولقد اورد ابن حجر في الفتح في هذه المسأله ما نصة :-

ووجه الإشكال فيه أن ظاهره أن عود الروح إلى الجسد يقتضي انفصالها عنه وهو الموت ، وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة :

أحدها : أن المراد بقوله : رد الله علي روحي أن رد روحه كانت سابقة عقب دفنه لا أنها تعاد ثم تنزع ثم تعاد .

الثاني : سلمنا ، لكن ليس هو نزع موت بل لا مشقة فيه .

الثالث : أن المراد بالروح الملك الموكل بذلك .

الرابع : المراد بالروح النطق فتجوز فيه من جهة خطابنا بما نفهمه .

الخامس : أنه يستغرق في أمور الملإ الأعلى ، فإذا سلم عليه رجع إليه فهمه ليجيب من سلم عليه . وقد استشكل ذلك من جهة أخرى ، وهو أنه يستلزم استغراق الزمان كله في ذلك لاتصال الصلاة والسلام عليه في أقطار الأرض ممن لا يحصى كثرة ، وأجيب بأن أمور الآخرة لا تدرك بالعقل ، وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة والله أعلم.

وكم من آثار وارده في رؤيا الصحابة لرسول الله وتبشيرهم وعلى سبيل المثال في قصة مقتل سيدنا عثمان بن عفان أنه رأى من الليل أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أفطر عندنا الليلة"

وفيما ورد عن البراء بن عازب ((لَمَّا قُتِلَ الحسينُ بنُ عليٍّ رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في المنامِ فقال إنْ رأيتَ البَراءَ بنَ عازبٍ فأقرِئْهُ السلامَ وأخبِرْهُ أنَّ قتَلَةَ الحسينِ بنِ عليٍّ في النارِ وإنْ كادَ اللهُ أنْ يَسْحَقَ أهلَ الأرضِ مِنهُ بعذابٍ أليمٍ قال فأتيْتُ البراءَ فأخبرْتُهُ فقال صدَقَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَنْ رآني في المنامِ فقدْ رآني فإنَّ الشيطانَ لا يَتصوَّرُ بي .))

وكذلك لنا شاهد من قصة الاسراء و المعراج مما أخرجه مسلم في صحيحه: " مررت - عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ "

ولقد عقب على هذا الامر ابن حجر في الفتح بما نصه

((اختلف في حال الأنبياء عند لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - إياهم ليلة الإسراء هل أسري بأجسادهم لملاقاة النبي - صلى الله عليه وسلم - تلك الليلة ، أو أن أرواحهم مستقرة في الأماكن التي لقيهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأرواحهم مشكلة بشكل أجسادهم كما جزم به أبو الوفاء بن عقيل ، واختار الأول بعض شيوخنا ، واحتج بما ثبت في مسلم عن أنس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : رأيت موسى ليلة أسري بي قائما يصلي في قبره فدل على أنه أسري به لما مر به . قلت : وليس ذلك بلازم بل يجوز أن يكون لروحه اتصال بجسده في الأرض ، فلذلك يتمكن من الصلاة وروحه مستقرة في السماء)) وهذا يدل على أن الأنبياء لهم حياة برزخيه وكذلك الصالحون ويشهد لهذا حديث ابي هريرة عند سؤال الملكين الذي جاء فيه ((.......فيقال له : أخبرنا عما نسألك . فيقول : دعوني حتى أصلي . فيقال : إنك ستفعل ، فأخبرنا عما نسألك عنه! فيقول : وعم تسألون؟......)) والشاهد قوله "إنك ستفعل"

واورد ايضا ابن حجر في الفتح ما نصه :-

((أن الأنبياء أفضل من الشهداء والشهداء أحياء عند ربهم فكذلك الأنبياء فلا يبعد أن يصلوا ويحجوا ويتقربوا إلى الله بما استطاعوا ما دامت الدنيا وهي دار تكليف باقية)).

وانظر الى قصة الصحابي الجليل ثابت بن قيس رضي الله عنه:- لما استشهد رضي الله عنه في معركة اليمامة، وكانت عليه درع نفيسة، فأخذها أحد المسلمين، فبينما أحد المسلمين نائم، إذ أتاه ثابت بن قيس في منامه وقال له: أوصيك بوصية فإياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه، إني لما قُتلت مر بي رجل من المسلمين وأخذ درعي، ومنزله في أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن في طوله: (أي يمرح في حبله المشدود)، وقد كفأ على الدرع برمة (قدر)، وفوق البرمة رحل، فأتِ خالداً فُمره أن يبعث إليَّ درعي فيأخذها، فإذا قدمت إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر فقل له: إن عليَّ من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق، فأتى الرجل خالداً فأخبره، فبعث إلى الدرع فأُتي بها، وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته بعد موته، ولذا قيل: لا يُعلم أحد أجيزت وصيته بعد موته إلا ثابت بن قيس رضي الله عنه .

وكذلك حديث أنس الذي فيه عرض الأعمال على أقارب الشخص وهم في قبورهم مما يدلل على ان لهم حياة برزخية خاصه :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِى أَبِى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَمَّنْ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ فَإِنْ كَانَ خَيْراً اسْتَبْشَرُوا بِهِ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا ».

وحديث أبي أيوب :

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : إِنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ إِذَا قُبِضَتْ تَلَقَّاهَا مِنْ أَهْلِ الرَّحْمَةِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ كَمَا تَلْقَوْنَ الْبَشِيرَ فِي الدُّنْيَا ، فَيَقُولُونَ : انْظُرُوا صَاحِبَكُمْ يَسْتَرِيحُ ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي كَرْبٍ شَدِيدٍ ، ثُمَّ يَسْأَلُونَهُ : مَاذَا فَعَلَ فُلانٌ ؟ وَمَا

فَعَلَتْ فُلَانَةُ ؟ هَلْ تَزَوَّجَتْ ؟ فَإِذَا سَأَلُوهُ عَنِ الرَّجُلِ قَدْ مَاتَ قَبْلَهُ ، فَيَقُولُ : أَيْهَاتَ قَدْ مَاتَ ذَاكَ قَبْلِي ، فَيَقُولُونَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، ذُهِبَتْ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ فَبِئْسَتِ الأُمُّ وَبِئْسَتِ الْمُرَبِّيَةُ ، قَالَ : وَإِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنْ أَهْلِ الآخِرَةِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَرِحُوا وَاسْتَبْشَرُوا ، وَقَالُوا : اللَّهُمَّ هَذَا فَضْلُكَ وَرَحْمَتُكَ فَأَتْمِمْ نِعْمَتَكَ عَلَيْهِ ، وَأَمِتْهُ عَلَيْهَا وَيُعْرَضُ عَلَيْهِمْ عَمَلُ الْمُسِيءِ ، فَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ أَلْهِمْهُ عَمَلا صَالِحًا تَرْضَى بِهِ عَنْهُ وتُقَرِّبُهُ إِلَيْكَ

ومن شواهد هذان الحديثان أن كذلك الاعمال تعرض عليه صلى الله عليه وسلم نقف ونسأل سؤالا قد يزيل الكثير من الايهام و الالتباس .

هل تموت الروح ؟

الموت بالنسبة للإنسان هو مفارقة الروح البدن. لكن هل تفنى الروح؟

فالأمر فيه خلاف والذي عليه سلف الأمة هو أنَّ الأرواح لا تفنى.

قال ابن القيم-رحمه الله- في مدرج السالكين ما نصه:-

"يعني أن الأرواح خلقت للبقاء لا للفناء هذا هو الحق وما خالف فيه إلا شرذمة من الناس من أهل الإلحاد القائلين إن الأرواح تفنى بفناء الأبدان لكونها قوة من قواها وعرضا من أعراضها

وهؤلاء قسمان أحدهما منكر لمعاد الأبدان والثاني من يقر بمعاد الأبدان ويقول إن الله عز و جل يعيد قوى البدن وأعراضه ومنها الروح. وأما الحق الذي اتفقت عليه الرسل وأتباعهم فهو أن هذه الأرواح باقية بعد مفارقة أبدانها لا تفنى ولا تعدم وأنها منعمة أو معذبة في البرزخ فإذا كان يوم المعاد ردت إلى أبدانها فتنعم معها أو تعذب ولا تعدم ولا تفنى."

وقال أيضا في "هداية الحيارى":-

"وَأَمَّا الرُّوحُ الَّتِي بِهَا الْحَيَاةُ فَهِيَ النَّفْسُ عَلَى قَاعِدَةِ أَهْلِ السُّنَّةُ، وَهِيَ جِسْمٌ لَطِيفٌ وَيُشَاكِلُ الْأَجْسَامَ الْمَحْسُوسَةَ تُحْدَثُ، وَيُخْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ بِفَرَحٍ، لَا تَمُوتُ وَلَا تَفْنَى، وَهِيَ مِمَّا لَهُ أَوَّلٌ وَلَيْسَ لَهُ آخِرٌ كَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ".

وأورد العز في شرحه على الطحاوية هذه المسألة ورجح عدم موتها في عالم البرزخ فقال:واختلف الناس: هل تموت الروح أم لا ؟ فقالت طائفة: تموت؛ لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت، وقد قال تعالى: {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}. وقال تعالى: {كل شيء هالك إلا وجهه}. قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولى بالموت. وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان. قالوا: وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها. والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنى بالكلية، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب، كما سيأتي إن شاء الله تعالى. وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة {لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى}، وتلك الموتة هي مفارقة الأرواح للأجساد. وأما قول أهل النار: {ربنا أمتنا اثنتين}، وقوله تعالى: {كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم}- فالمراد: أنهم كانوا أمواتا وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم النشور، وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة، وإلا كانت ثلاث موتات. وصعق الأرواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها، فإن الناس يصعقون يوم القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشرقت الأرض بنوره.

ما هي إمكانية رؤيا النبي ؟

وبعد ان عرضنا من الادلة بإيجاز في مسالة الروح وعدم موتها ننتقل إلى أمر آخر وهو رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم و من المعلوم أنه لا خلاف في إمكانية رؤياه صلى الله عليه وسلم نوما وذلك لمجموع الأحاديث الوارده ولكن الخلاف هو في الرؤية الشخصية وإن كانت على تفصيل وقبل الشروع في الحديث وجب العلم بأن مسألة الرؤية هذه ليست من العقائد المفروضة التي يَترتب على إنكارها الكفر،

فالعقائد لا تَثبت إلا بما يفيد العلم اليقينيَّ أي ان يكون دليلها قطعي الثبوت ولا يوجد عليها دليل في القرآن الكريم، ودليلها من السنة ليس قطعيًّا في دلالته، فالاحتمال موجود حتى على فرْض قطعيَّة الثبوت بالحديث الصحيح الذي لم يَبلغ مبلغ التواتر.

كما وأنه لا يجوز مطلقًا أن يُرمَى أحد بالكفر لتكذيبه دَعوَى جَواز الرؤية الشخصية للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو وقوعها، ولا أنْ يُرمَى أحد بالزيْغ والضلال و البدعية لمجرد القول بها ففي الأمر سعة ولننظر الى الامر من جانبين ما هي الرؤية الشخصيه

- هل هي أن نراه صلى الله عليه وسلم على صورته الحقيقية التي كان عليها في الدنيا روحا وجسدا
- ام هل هي أن نراه صلى الله عليه وسلم على صوره مثليه روحا لا جسدا

ولقد صرح الغزالي فقال ليس المراد أنه يرى جسمه وبدنه بل مثالا له صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسه قال والآلة تارة تكون حقيقة وتارة تكون خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق قال ومثل ذلك من يرى الله تعالى في المنام فإن ذاته منزهة عن الشكل والصورة ولكن تنتهي تعريفاته إلى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره ويكون ذلك المثال حقا في كونه واسطة في التعريف فيقول الرائي رأيت الله في المنام لا يعني أني رأيت ذات الله كما تقول في حق غيره انتهى.

وفصل القاضي أبو بكر بن العربي فقال رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال.

فرؤيته يقظة بعد موته ليس هناك نص يَمنعها، فهي ممكنة، على خلاف في صفة هذه الرؤية وإن كان القول بانها لم تقع للاحد من الصحابه فهذا ليس بالدليل الذي يقام به حجة التكفير للخلق والنص الوراد عند مسلم والذي يعده بعض إخواننا نصا للاحتجاج وهو عن أبو الطاهر وحرملة قالا أخبرنا بن وهب أخبرني يونس عن بن شهاب حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((مَنْ رَآني في المنامِ فَسيراني في اليَقَظَةِ . أو لكأنَّما رَآني في اليَقظَةِ)) وإن كانت الروايه ظنيه وذلك لشك الراوي فإن الحديث الذي أخرجه البخاري *حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله عن يونس عن الزهري حدثني أبو سلمة أن أبا هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ((من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي قال أبو عبد الله قال بن سيرين إذا رآه في صورته .*

فهل رواية البخاري هذه بها شك أيضا إن الأمانه العلمية تقتضي القول بعدم حجية هذا النص في إثبات الرؤية من جهة الدلالة النصية وذلك يتضح من جمع طرق الحديث المختلف

(١)عبدان ، ابن وهب ، يونس ، ابن شهاب ، أبو سلمة ، أبو هريرة: فسيراني في اليقظة . (البخاري)

(٢)حرملة ، ابن وهب ، يونس ، ابن شهاب ، أبو سلمة ، أبو هريرة: فسيراني في اليقظة ، أو فكأنما رآني في اليقظة (مسلم)

(٣)أحمد ، ابن وهب ، يونس ، ابن شهاب ، أبو سلمة ، أبو هريرة: فسيراني في اليقظة ، أو فكأنما رآني في اليقظة (ابوداود)

(٤)ابن أخي ابن شهاب ، ابن شهاب ، أبو سلمة ، أبو هريرة: فسيراني في اليقظة ، أو فكأنما رآني في اليقظة(احمد)

فيكون النتاج ان الإمام البخاري في روايته عن "عبدان" هي أيضا تندرج تحت حكم الشك وذلك واضح بطريق المتابعه لطرق الحديث هذا من باب الإنصاف العلمي

تنوية

وخلاصة القول لا يجوز جعل النص الوارد ((مَنْ رَآني في المنامِ فَسيراني في اليَقَظَةِ)) دليلا على هذه المسأل لما تم ذكرة فيما سبق

ويقول العلامة النفراوي المالكي : « يجوز رؤيته عليه الصلاة والسلام في اليقظة والمنام باتفاق الحفاظ، وإنما اختلفوا هل يرى الرائي ذاته الشريفة حقيقة أو يرى مثالاً يحكيها، فذهب إلى الأول جماعة وذهب إلى الثاني : الغزالي، والقرافي، واليافعي، وآخرون، واحتج الأولون بأنه سراج الهداية، ونور الهدى، وشمس المعارف كما يرى النور والسراج والشمس من بعد، والمرئي جرم الشمس بأعراضه فكذلك البدن الشريف، فلا تفارق ذاته القبر الشريف، بل يخرق الله الحجب للرائي ويزيل الموانع حتى يراه كل راء ولو من المشرق والمغرب، أو تجعل الحجب شفافة لا تحجب ما وراءها، والذي جزم به القرافي أن رؤياه منامًا إدراك بجزء لم تحله آفة النوم من القلب فهو بعين البصيرة لا بعين البصر بدليل أنه قد يراه الأعمى.

وقال ابن الحاج في المدخل : « بل بعضهم يدعي رؤيته عليه الصلاة والسلام ، وهو في اليقظة وهذا باب ضيق، وقل من يقع له ذلك الأمر إلا من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان، بل عدمت غالبا، مع أنا لا ننكر من يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم الله تعالى في ظواهرهم وبواطنهم ».

تنبية

١. وعليه فمفهوم اليقضة لا يلزم منه ان تكون هذه الرؤيا بالعين الحسيه ولا يلزم منه أن يكون مجتمعا جسده وروحه صلى الله عليه وسلم ولنا في قصة المعراج إشاره على ذلك فلقد مر رسول الله على قبر نبي الله موسى وهو يصلي ثم اجتمع معه وصلى به رسول الله ثم لقيه في السماء .

٢. إن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم لا يلزم منها تشريعا جديدا فقلد قال الله في كتابة { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا } وإنما تكون رؤيته صلى الله عليه وسلم رؤية بشاره أو نذارة او توجيها و تنبيها .

٣. إن إدعاء رؤيا النبي صلى الله علية وسلم في حكم الكذب على رسول الله عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي ومن رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار))

مشكلات

المشكل(١) :

أنكرت رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة وذلك لقول من قال أن الخلاف قد وقع بين الصحابة ولم يرو النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ليحل لهم الاشكال وليفض بينهم النزاع.

والجواب عن هذا هو أوليست رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وقد نصت عليها النصوص الصريحة اذاً لماذا لم يظهر النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة في المنام ويفض بينهم الخلاف ؟وإن كان ذلك كذلك من عدم رؤيتهم له صلى الله عليه وسلم في النوم ليقضي بينهم يدل على عدم جواز رؤيته صلى الله عليه وسلم في النوم ايضاً ؟

والشاهد فاذا بطلت رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة لهذا السبب اذا تباعا تبطل رؤيته في المنام ايضا و عليه فإن عدم وقوعها لا يعني عدمها بالكلية.

قال الألوسي في تفسيره روح المعاني ، بعد كلام ، في أنه لم يؤثر ظهوره للصحابة وأهل بيته ما نصه : « وبالجملة عدم ظهوره صلى الله عليه وسلم لأولئك الكرام ، وظهوره لمن بعدهم ، مما يحتاج إلى توجيه يقنع به ذوو الأفهام ، ولا يحسن مِنّي أنْ أقول كل ما يُحكى عن الصوفية من ذلك كذب لا أصل له لكثرة حاكيه ، وجلالة مدعيه ، وكذا لا يحسن مني أن أقول إنهم إنما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فظنوا لِخِفة النوم ، وقِلّة وقته ، يقظة ، فقالوا رأيناه يقظة ، لما فيه من البعد ، ولعل في كلامهم ما يأباه . وغاية ما أقول أن تلك الرؤية من خوارق العادات كسائر كرامات الأولياء ، ومعجزات الأنبياء عليهم السلام ، وكانت الخوارق في الصدر الأول لقرب العهد بشمس الرسالة قليلة جدا ، وأنّى يُرى النجمُ تحت الشعاع ، أو يظهرُ كوكبٌ وقد انتشر ضوء الشمس في البقاع ، فيمكن أن يكون قد وقع ذلك لبعضهم على سبيل الندرة ، ولم تقتض المصلحة إفشاءه ، ويمكن أن يقال أنه لم يقع لِحِكمَة الإبتلاء أو لخوف الفتنة ، أو لأنّ في القوم من هو كالمرآة له صلى الله عليه وسلم ، أو ليسرع الناس إلى كتاب الله تعالى وسنته فيما يهمهم ، فيتسع باب الإجتهاد ، و تنشر الشريعة ، وتعظم الحجة التي يمكن أن يعقلها كل أحد ، أو لنحو ذلك . وربما يدعى أنه عليه الصلاة والسلام ظهر ، ولكن كان مستترا في ظهوره ، كما روي أنّ بعض الصحابة أحب أن يرى رسول الله ، فجاء إلى ميمونة ، فأخرجت له مرآته ، فنظر فيها فرأى صورة رسول الله ولم ير صورة نفسه . فهذا من الظهور الذي يدّعيه الصوفية ، إلاّ أنه بحجاب المرآة وليس من باب التّمثيل الذي قوي بالنظر إلى مرآته عليه الصلاة والسلام ، وملاحظة أنه كثيرا ما ظهرت فيه صورته حسبما ظنه ابن خلدون . فإن قُبِلَ قولي هذا ، وتوجيهي لذلك الأمر ، فبها ونعمت ، وإلاّ فالقول مشكل ، فاطلب لك ما يحله ، والله سبحانه الموفق للصواب»

ولك ايضا ما وقع مع التابعي الجليل سعيد بن المسيب رحمه الله كان يسمع الأذان من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مرات في اليوم وذلك في أيام الحرّة حين أغلق المسجد ومنع الناس.

المشكل(٢) :

هل رؤيته يقظة تعني دخوله في الصحابة

والجواب:-

من نص حديث رسول الله الذي قال فيه *((من رآني في المنام فقد رآني)) وهذا لتحقيق رؤياه صلى الله عليه وسلم وإن قال قائل ولكن هذا في المنام فنقول العبره بثبوت الرؤيه له صلى الله عليه وسلم فمن يقول بشرط ثبوت الصحبه لمن يرى رسول الله يقضة نقل له كذلك يلزمك اثباتها لمن يرى رسول الله منام لان العبره هي رؤيته صلى الله عليه وسلم*

ولكن التعويل على ما اورده ابن حجر الهيتمي ((ولا يلزم من ذلك أن الرائي صحابي لأن شرط الصحبة الرؤية في عالم الملك وهذه رؤية وهو في عالم الملكوت وهي لا تفيد صحبة))

المشكل(٣) :

وقد يقول المعترضون إن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة لم تنقل عن أحد من الصحابة , وهذه شهادة على النفي و الجواب فإنه لاحجة في عدم النقل بعدم الجواز. ويمكن ان تراجع كلام العلامة الآلوسي في الصفحه الماضية.

ولله در الحافظ ابن حجر الهيثمي حين قال

تواترت الأدلة والنقول** فما يحصى المصنف مايقول
بأن المصطفى حي طري** هلال ليس يطرقه أفول
وأن الجسم منه بقاع لحد**كورد لايدنسه الذبول
وأن الهاشمي بكل وصف** جميل لا يغيره الحلول
وأن الدود لا يأتي إليه كـــــ***ذا الآفات ليس لها وصول
ولم تأكل الغبراء لحما ولا** عظماَ وأثبت ما أقول

يقول الناظم رحمه الله:-

فلأنت الذي شرفه	٣٠	فعلا في العلا أعلى الدرج
ولأنت الذي قد فاق السوى	٣١	بكمال مدى الدهر مبتهج
ولأنت الذي بالحق غدا	٣٢	منقذا للخلق من الهرج
ولأنت مفرج كربتنا	٣٣	عند يأس الناس من الفرج

الشرح:-

إن قدر رسول الله عند الله لعظيم وأن كرامته عند الله لكبيرة فهو المصطفى وهو المجتبى فلقد اصطفى الله من البشرية الأنبياء واصطفى من الأنبياء الرسل واصطفى من الرسل أولي العزم واصطفى من أولي العزم محمداً ففضله على جميع خلقه ، شرح له صدره ورفع له ذكره ووضع عنه وزره واصطفاه في كل شيء : اصطفاه في عقله فقال سبحانه: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى}اصطفاه في صدقه فقال : {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهوى } اصطفاه في صدره فقال:{ أَلَم نَشْرح لَكَ صَدْرَكَ } اصطفاه في فؤاده فقال :{ مَا كَذَبَ الفُؤادُ مَارَأى } اصطفاه في ذكره فقال:{ وَرَفعنَا لَكَ ذِكْرَكَ } اصطفاه في علمه فقال: { عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوى } اصطفاه في حلمه فقال:{ بِالمؤمِنينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ } اصطفاه فقال : { وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ } اصطفاه وأرضاه فقال : { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}

اصطفاه في خلقه فقال : { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلقٍ عَظِيمٍ}

ويقول النبي عن نفسه (أدبني ربي فأحسن تأديبي) ، وفي ذلك قول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين سئلت: كيف كان خلق رسول الله فقالت"كان خلقه القرءان" أي كل خصلة خير في القرءان هي في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقالت عائشة رضي الله عنها في وصف خلقه أيضاً:"لم يكن رسول الله فاحشاً ولا متفحشاً ولا يجزي السيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح

وقالت: ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى.

واخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه"

وانظر لهذه الحادثة التى تبين رحمته صلى الله عليه وسلم وملاطفته اصحابه صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري من حديث المسور بن مخرمة "قسَمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أقْبِيَةً ولَمْ يعطِ مَخرَمَةَ شيئًا ، فقالَ مخرمةُ :يا بُنَيَّ انطلقْ بنَا إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليهِ وسلَّمَ ، فانطلقتُ معهُ ، فقالَ : ادْخُلْ فادْعُهُ لي ، قال : فَدَعَوتُهُ لهُ ، فخرجَ إليهِ وعليهِ قَبَاءٌ منها ، فقالَ : (خَبَّأْتُ هذا لكَ) . قالَ: فَنظَرَ إليهِ ، فقالَ : رضيَ مَخْرَمَةُ "

واخرج البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال:"كنتُ أمشي معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعليهِ بردٌ نَجْرَانيٌّ غليظُ الحاشيةِ ، فَأَدْرَكَهُ أعرابيٌّ فَجَبَذَهُ بردائِهِ جَبْذَةً شديدةً ، حتى نظرتُ إلى صَفحَةِ عاتِقِ رسولِ اللهِ صلى الله عليهِ وسلمَ قدْ أثَّرَت بها حاشِيَةُ البُرْدِ من شدَّةِ جَبْذَتِهِ ، ثم قالَ : يا محمدُ مُرْ لي منْ مالِ اللهِ الذي عِنْدَكَ ، فالتَفَتَ إليهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثمَّ ضَحِكَ ، ثم أمَرَ لهُ بعطاءٍ "

ولا يعرف قدر رسول الله إلا الله وهو الذي يشفع للبشرية لفصل القضاء في ذلك الوقت العظيم الذي كل الأنبياء يقول فيه نفسي ، نفسي ، وقد بلغ بالبشرية ما بلغ من الهول والغم والكرب ، فالزحام شديد والشمس فوق قال تعالى : { وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي، فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ، وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ }

وعن عبد الله قال : قال رسول الله يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها " .

قال الله تعالى { وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }

ففي هذا الكرب العظيم ينطلق بعض الناس ويقول بعضهم لبعض : ألا ترون ما نحن فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغنا ألا تنظرون من يشفع لكم عند ربكم ليقضى بينكم فلا يتقدم للشفاعة يومئذ إلا صاحبها سيد ولد آدم وحينها يقول كل نبي نفسي ، نفسي ،ويقول حبيبنا محمد أنا لها ، فيا من وصفك ربك فقال { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي " تلا قول الله في إبراهيم {رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني } وقال عيسى { إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم }فرفع يديه وقال : اللهم أمتي ، أمتي وبكى فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك فأتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله بما قال وهو أعلم فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك" .

وأعطاه الله المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون ، وهو الشفاعة قال الله تعالى : { وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا }

وفيما اخرجه احمد والترمذي عن أبي هريرة قال :قال رسول الله في قوله : {عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً } سئل عنها قال : " هي الشفاعة " .

وعن أبي هريرة عن النبي قال : {عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً} قال :"هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه " .

واخرج البخاري عن ابن عمر قال : " إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود " .

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدحه عليه الصلاة والسلام

وأحسنُ منكَ لم ترَ قطُّ عيني ** وَأجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النّسَاءُ

خلقتَ مبرأً منْ كلّ عيبٍ **كأنكَ قدْ خلقتَ كما تشاءُ

قال رضي الله عنه في موضع آخر مادحا رسول الله عليه الصلاة والسلام

يا أكرم الناس مالي من ألوذ به *** سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن بآخرتي آخذاً بيدي *** فضلاً و إلا فقل يا زلة القدم

يقول الناظم رحمه الله:-

فعليك السلام بغير انتها	٣٤	يعبق الكون من ازكى الأرج
وعلى كل الآل والصحب مع	٣٥	من يواليهم كل الأبج

الشرح:-

إن لصلاة على النبي لجزيل الأجر والثواب ويشهد لذلك ما أخبر به الله سبحانه وتعالى عن نفسه و ما أمر به المؤمنين في قول الحق تبارك وتعالى { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} فكان الامر من الله بالصلاة والسلام على نبيه و من رحمة الله بخلقه أن جعل تلك الصلوات و التسليمات على نبيه ركنا من الصلوات المكتوبات في اليوم والليله

كذلك ما جاءت به الآثار النبويه من عظيم جزاء من يصلي على نبي الرحمة و توبيخ من احجم عن الصلاة والتسليم عليه صل الله عليه وسلم

ففيما اخرجه ابو يعلى والترمذي وابن حبان وغيره ((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " إِنَّ الْبَخِيلَ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ "))

وايضا فيما اخرجه ابن حبان وغيره من حديث ((أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَقَالَ : " آمِينَ آمِينَ آمِينَ " . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ حِينَ صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ قُلْتَ : آمِينَ آمِينَ آمِينَ . ، قَالَ : " إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي ، فَقَالَ : مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، قُلْ : آمِينَ ، فَقُلْتُ : آمِينَ . وَمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَبَرَّهُمَا ، فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، قُلْ : آمِينَ ، فَقُلْتُ : آمِينَ . وَمَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، قُلْ : آمِينَ ، فَقُلْتُ : آمِينَ ")).

معنى الصلاة والسلام على النبي :

- قال ابن كثير رحمه الله: (المقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه تصلي عليه الملائكة ثم أمر الله تعالى العالم السفلي بالصلاة والسلام عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً)
- قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في جلاء الأفهام: (والمعنى أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسوله فصلوا عليه أنتم أيضاً صلوا عليه وسلموا تسليماً لما نالكم ببركة رسالته ويمن سفارته، من خير شرف الدنيا والآخرة)

وذهب أهل العلم الى القول بأن الصلاة من الله هي الرحمة و من الملائكة الإستغفار و من الآدميين الدعاء

فإذا قيل : صلت عليه الملائكة ، يعني : استغفرت له . وإذا قيل : صلى عليه فلان ، يعني : دعا له وإذا قيل : صلى عليه الله ، يعني : رحمه .

وهذا هو المشهور بين أهل العلم ، ولكن بعض اهل العلم ذهبوا خلاف ذلك وقالوا بان الصلاة أخص من الرحمة ، ولذلك أجمع أهل العلم على جواز الدعاء بالرحمة لكل مؤمن و لكنهم واختلفوا : هل يصلى على غير الأنبياء ؟

وستدلوا بقول الله تعالى { أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } فعطف " الرحمة " على " الصلوات " والعطفُ يقتضي المغايرة

وأحسن ما قيل فيها : ما ذكره أبو العالية رحمه الله أنَّ صلاةَ الله على نبيِّه : ثناؤه عليه في الملأ الأعلى .

فمعنى " اللَّهمَّ صَلِّ عليه " أي : أثنِ عليه في الملأ الأعلى.

والسلام: هو السلامة من النقائص والآفات فإن ضم السلام إلى الصلاة حصل به المطلوب وزال به المرهوب فبالسلام يزول المرهوب وتنتفي النقائص وبالصلاة يحصل المطلوب وتثبت الكمالات ,ويكون المعنى ايضا اي ان سلام الله عليه يسلمه من كل سوء يقول الله { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}

وقول الناظم رحمة الله ((وعلى كل الآل))

- آل النبي صلى الله عليه سلم الذين تحرم عليهم الصدقة و هم أزواجه وذريته و بنو هاشم بن عبد مناف ، وهم آل علي ، وآل عباس ، وآل جعفر ، وآل عقيل ، وآل الحارث بن عبد المطلب ، وهذا مذهبُ جمهور الفقهاء من الحنفيَّة ، والمالكيَّة ، والحنابلة ، وعلى هذا جماعةٌ من أهل العلم ؛ وذلك لأنَّ بني هاشم أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

✓ أما أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فالقول الراجح أنهم يدخلن في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم . لقول الله تعالى بعد أن أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . وقول الملائكة لسارة زوج إبراهيم عليه السلام : (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) , ولأنه استثنى امرأة لوط من آل لوط عليه السلام في قوله تعالى : (إلا آل لوط فإنا لمنجوهم أجمعون * إلا امرأته) فدل على دخولها في الآل .

✓ والراجح أن بنو عبد المطلب من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، والدليل ما جاء عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه قال : " مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطَيْتَ بَنِي الْمُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا وَنَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ " رواه البخاري

ولقد أختار جمع من اهل العلم فقول الآل أنهم أتباعه صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامه وممن أختار ذلك جابر رضي الله عنه و الثوري و بعض اصحاب الشافعي و النووي

ولقد استدل بعضهم على ذلك وهو أن الآل يدخل فيهم أتباع النبي صلى الله عليه وسلم بالأدلة التالية

- {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ} أي أن هذا الرجل كان من أتباع فرعون كما يظهر، فدخل في آل فرعون عندهم، لكنه كان في حقيقة أمره مؤمنٌ يكتم إيمانه.

- {وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ} ولم يختلف أحدٌ من الناس أن موسى كان عقيماً ليس له ذرية. فالمقصود بالآل هم الأتباع وليس الأولاد.

- وأخرج عبد الرزاق في مصنفه قال سمعت رجلاً سأل الثوري عن قوله "اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد"، فقال للثوري: «من آل محمد؟». فقال: «اختُلِفَ فيهم: فمنهم من قال آل محمد أهل بيته، ومنهم من يقول من أطاعه». أقول: بل الثاني هو الصواب يقيناً.

ولقد قال القائل

آل النبي همُ أتباع ملته .... على الشريعة من عجمٍ ومن عربِ
لو لم يكن آله إلا قرابته .... صلى المصَلّي على الطاغي أبي لهبِ

وقول الناظم رحمة الله ((والصحب مع))
ولمعرفة من هو الصحابي وجب علينا تعريف لفظة الصحابي لغة و اصطلاحا فاما في اللغة
قال السخاوي: (الصحابي لغة: يقع على من صحب أقل ما يطلق عليه اسم صحبة فضلاً عمن طالت صحبته وكثرت مجالسته)
قال الجوهري: "والصحابة بالفتح: الأصحاب، وهي في الأصل مصدر، وأَصْحَبْتُهُ الشيء: جعلته له صاحباً، واستصحبته الكتاب وغيره، وكل شيء لاءم شيئاً فقد استصحبه"
واصطلاحا هو :-
قال ابن حجر: وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به، ومات على الإسلام؛ فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.
ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك. وقولنا: (به) يخرج من لقيه مؤمناً بغيره
ويدخل في قولنا: (مؤمناً به) كل مكلف من الجن والإنس؛ فحينئذ يتعين ذكر من حفظ ذكره من الجن الذين آمنوا به بالشرط المذكور، وأما إنكار ابن الأثير على أبي موسى تخريجه لبعض الجن الذين عرفوا في كتاب الصحابة فليس بمنكر لما ذكرته.
وقد قال ابن حزم إن الله تعالى قد أعلمنا أن نفرا من الجن آمنوا وسمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهم صحابة فضلاء.
وخرج بقولنا: (ومات على الإسلام) من لقيه مؤمنا به ثم ارتد، ومات على ردته والعياذ بالله. وقد وجد من ذلك عدد يسير؛ كعبيد الله بن جحش الذي كان زوج أم حبيبة؛ فإنه أسلم معها، وهاجر إلى الحبشة، فتنصر هو ومات على نصرانيته.
ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به صلى الله عليه وسلم مرة أخرى أم لا؛ وهذا هو الصحيح المعتمد. والشق الأول لا خلاف في دخوله وأبدى بعضهم في الشق الثاني احتمالا؛ وهو مردود لإطباق أهل الحديث على عد الأشعث بن قيس في الصحابة، وعلى تخريج أحاديثه في الصحاح والمسانيد؛ وهو ممن ارتد ثم عاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر .

حكم الصلاة على النبي في التشهد الأول و الأخير :

١. أما في التشهد الأول ، وهذا قد اختلف فيه ، فقال الشافعي في الأم: يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الأول ، هذا هو المشهور من مذهبه ، وهو الجديد ، لكنه يستحب وليس بواجب ، وقال في القديم : لا يزيد على التشهد وهذه رواية المزني عنه ، وبهذا قال أحمد ، وأبو حنيفة ، ومالك وغيرهم .
٢. أما الصلاة على النبي صلى الله علية وسلم في التشهد الأخير فهو ركن من أركان الصلاة – على الراجح من أقوال أهل العلم يقول الشافعي في كتاب-الأم- " والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الأول في كل صلاة غير الصبح تشهدان : تشهد أول وتشهد آخر ، إن ترك التشهد الأول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الأول ساهيا لا إعادة عليه ، وعليه سجدتا السهو لتركه " .
فمن تركها متعمداً بطلت صلاته ووجبت عليه إعادتها إذا كانت فريضة. أما من تركها سهواً ولم يذكر إلا بعد فراغه من الصلاة ولم يطل الفصل فلا تبطل صلاته، وعليه أن يأتي بالصلاة -على النبي صلى الله عليه وسلم- وما بعدها، ويسجد للسهو، وإن طال الفصل بطلت
وقال القاضي أبو بكر بن بكير: (افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليماً، ولم يجعل ذلك لوقت معلوم. فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها) وذلك لما اخرجه ابو داود واحمد في مسنده من حديث ((أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ مَا مِنْ أَحَد يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّه عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدّ عَلَيْهِ السَّلَام))

حكم تعدد صيغ الصلاة على النبي ؟

واورد هنا الزيادة التى اخرجها كلا من ابن خزيمة والدار قطني والبيهقي وابن حبان و الحاكم حتى يزول التوهم وتقصر المسافات في التفهم ' أقبل رجل حتى جلس بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ونحن عنده ، فقال : يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا صلى الله عليك ؟ قال : فصمت حتى أحببنا أن الرجل لم يسأله ثم قال : " إذا أنتم صليتم علي فقولوا : اللهم صل على محمد النبي الأمي ، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد النبي الأمي ، وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد " .

قال الحافظ في الفتح ما نصة مع شيء من التصرف :-

واستدل بهذا الحديث على إيجاب الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - في كل صلاة لما وقع في هذا الحديث من الزيادة في بعض الطرق عن أبي مسعود وهو ما أخرجه أصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم كلهم من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد عنه بلفظ :" فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا "

وقال هذه الزيادة تفرد بها ابن إسحاق ، لكن ما ينفرد به وإن لم يبلغ درجة الصحيح فهو في درجة الحسن إذا صرح بالتحديث وهو هنا كذلك وقد احتج بهذه الزيادة جماعة من الشافعية كابن خزيمة والبيهقي لإيجاب الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - في التشهد بعد التشهد وقبل السلام وتعقب بأنه لا دلالة فيه على ذلك بل إنما يفيد إيجاب الإتيان بهذه الألفاظ على من صلى على النبي - صلى الله عليه وسلم - في التشهد وعلى تقدير أن يدل على إيجاب أصل الصلاة فلا يدل على هذا المحل المخصوص ولكن قرب البيهقي ذلك بما تقدم أن الآية لما نزلت وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد علمهم كيفية السلام عليه في التشهد والتشهد داخل الصلاة فسألوا عن كيفية الصلاة فعلمهم فدل على أن المراد بذلك إيقاع الصلاة عليه في التشهد بعد الفراغ من التشهد الذي تقدم تعليمه لهم وأما احتمال أن يكون ذلك خارج الصلاة فهو بعيد كما قال عياض وغيره.

والذي قاله الشافعي في الأم : فرض الله الصلاة على رسوله بقوله إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع أولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك أخبرنا إبراهيم بن محمد حدثني صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أنه قال يا رسول الله كيف نصلي عليك - يعني في الصلاة - قال تقولون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم الحديث

أخبرنا إبراهيم بن محمد حدثني سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه "كان يقول في الصلاة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم الحديث

قال الشافعي : فلما روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يعلمهم التشهد في الصلاة وروي عنه أنه علمهم كيف يصلون عليه في الصلاة .

وأصح ما ورد في ذلك عن الصحابة والتابعين ما أخرجه الحاكم بسند قوي عن ابن مسعود قال : يتشهد الرجل ثم يصلي على النبي ثم يدعو لنفسه " وهذا أقوى شيء يحتج به للشافعي فإن ابن مسعود ذكر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - علمهم التشهد في الصلاة وأنه قال " ثم ليتخير من الدعاء ما شاء فلما ثبت عن ابن مسعود الأمر بالصلاة عليه قبل الدعاء دل على أنه اطلع على زيادة ذلك بين التشهد والدعاء واندفعت حجة من تمسك بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب إليه الشافعي مثل ما ذكر عياض قال وهذا تشهد ابن مسعود الذي علمه له النبي - صلى الله عليه وسلم - ليس فيه ذكر الصلاة عليه وكذا قول الخطابي أن في آخر حديث ابن مسعود : " إذا قلت هذا فقد قضيت صلاتك ".

لكن رد عليه بأن هذه الزيادة مدرجة وعلى تقدير ثبوتها فتحمل على أن مشروعية الصلاة عليه وردت بعد تعليم التشهد ويتقوى ذلك بما أخرجه الترمذي عن عمر موقوفا " الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى يصلي على النبي - صلى الله عليه وسلم

له شاهد مرفوع في " جزء الحسن بن عرفة " وأخرج العمري في " عمل يوم وليلة " عن ابن عمر بسند جيد قال لا تكون صلاة إلا بقراءة وتشهد وصلاة علي وأخرج البيهقي في " الخلافيات " بسند قوي عن الشعبي وهو من كبار التابعين قال " من لم يصل على النبي - صلى الله عليه وسلم - في التشهد فليعد صلاته " وأخرج الطبري بسند صحيح عن مطرف بن عبد الله بن الشخير وهو من كبار التابعين قال " كنا نعلم التشهد فإذا قال وأشهد أن محمدا عبده ورسوله يحمد ربه ويثني عليه ثم يصلي على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم يسأل حاجته " .

وأما فقهاء الأمصار فلم يتفقوا على مخالفة الشافعي في ذلك بل جاء عن أحمد روايتان وعن إسحاق الجزم به في العمد فقال إذا تركها يعيد والخلاف أيضا عند المالكية ذكرها ابن الحاجب في سنن الصلاة ثم قال على الصحيح فقال شارحه ابن عبد السلام : يريد أن في وجوبها قولين وهو ظاهر كلام ابن المواز منهم وأما الحنفية فألزم بعض شيوخنا من قال بوجوب الصلاة عليه كما ذكر كالطحاوي ونقله السروجي في " شرح الهداية " عن أصحاب " المحيط " و " العقد " و " التحفة " و " المغيث " من كتبهم أن يقولوا بوجوبها في التشهد لتقدم ذكره في آخر التشهد لكن لهم أن يلتزموا ذلك لكن لا يجعلونه شرطا في صحة الصلاة.

واستدل له ابن خزيمة ومن تبعه بما أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وصححه وكذا ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث فضالة بن عبيد قال سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي فقال عجل هذا ثم دعاه فقال إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم يصل على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم يدعو بما شاء وهذا مما يدل على أن قول ابن مسعود المذكور قريبا مرفوع فإنه بلفظه.

وقد طعن ابن عبد البر في الاستدلال بحديث فضالة للوجوب فقال لو كان كذلك لأمر المصلي بالإعادة كما أمر المسيء صلاته وكذا أشار إليه ابن حزم . وأجيب باحتمال أن يكون الوجوب وقع عند فراغه ويكفي التمسك بالأمر في دعوى الوجوب وقال جماعة منهم الجرجاني من الحنفية لو كانت فرضا للزم تأخير البيان عن وقت الحاجة ; لأنه علمهم التشهد وقال " فيتخير من الدعاء ما شاء " ولم يذكر الصلاة عليه وأجيب باحتمال أن لا تكون فرضت حينئذ وقال شيخنا في " شرح الترمذي " قد ورد هذا في الصحيح بلفظ " ثم ليتخير " و " ثم " للتراخي فدل على أنه كان هناك شيء بين التشهد والدعاء .

واستدل بعضهم بما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رفعه "إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليستعذ بالله من أربع ". وقد انتصر ابن القيم للشافعي فقال أجمعوا على مشروعية الصلاة عليه في التشهد وإنما اختلفوا في الوجوب .

فوائد

١. ذهب جمع من الفقهاء إلى أن حديث الصلاة على النبي محله في التشهد
٢. وظاهر الخلاف بين الفقهاء مفاده أن الحديث كصيغة للصلاه على النبي صلى الله عليه وسلم توقيفية واجبه بالصيغ الوارده عنه صلى الله عليه وسلم في حال الصلاة غير موجب في غيره .
٣. إن من المعلوم أن حرف الجر "في" يفيد السببيه والظرفيه المكانيه والزمنيه ولذالك لا يمكن القطع في المساله بان المراد بالزياده الوارده "في صلاتنا" هي الصلاه المكتوبه او غيرها ولكن بالجمع بين الادله الأخرى كما أظهره ابن حجر في الفتح فإن الأقرب هو الصلاة المكتوبه وعليه فإن صيغة الصلاة والسلام على رسول الله توقيفية لا يجوز فيها إلا ما ورد وما كان خارج الصلاة المكتوبه فلا حرج في تعدد الصيغ للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم شريطة أن لا تحمل شركا ولا غلو في ذاته أو صفاته صلى الله عليه وسلم .

المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي ويرغب فيها:-

١- قبل الدعاء:
أخرج ابن حبان وغيره قال فضالة بن عبيد: سمع النبي رجلاً يدعو في صلاته فلم يصل على النبي فقال النبي : { عجل هذا! } ثم دعاه فقال له ولغيره: { إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم يصلي على النبي، ثم ليدع بعد بما يشاء }
وقد ورد في الحديث الذي اخرجه الطبراني في الاوسط: { الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي }
وقال ابن عطاء: (للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات. فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه نجح.
فأركانه: حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه الأسباب، وأجنحته الصدق، ومواقيته الأسحار، وأسبابه الصلاة على النبي).
٢- عند ذكره وسماع اسمه أو كتابته: قال : { رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ }
٣- الإكثارمن الصلاة عليه يوم الجمعة:
اخرج أبو داود وأحمد وابن حبان عن أوس بن أوس قال، قال رسول الله : { إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ.. }
٤- الصلاة على النبي في الرسائل وما يكتب بعد البسملة: قال القاضي عياض: (ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الأمة ولم تنكرها: ولم يكن في الصدر الأول، وأحدث عند ولاية بني هاشم - الدولة العباسية - فمضى عمل الناس في أقطار الأرض. ومنهم من يختم به أيضاً الكتب).
٥- عند دخول المسجد وعند الخروج منه:
روى ابن ماجه و الترمذي عن فاطمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله : { إذا دخلت المسجد فقولي بسم الله الرحمن الرحيم والسلام على رسول الله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لنا وسهل لنا أبواب رحمتك فإذا فرغت فقولي ذلك غير أن قولي: وسهل لنا أبواب فضلك }

فضيلة الصلاة على النبي والسلام عليه:

اورد الطبراني في معجمه قال : { من صلّى عليّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي }
وروى أحمد و مسلم قال : { من صلّى عليّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً }
وفيما اخرج الحاكم وأحمدعن عبدالرحمن بن عوف قال: أتيت النبي وهو ساجد فأطال السجود قال: { أتاني جبريل وقال: من صلّى عليك صليت عليه ومن سلّم عليك سلمت عليه فسجدت شكراً لله }
ومما رواه الجهضمي وحسن سنده غير واحد عن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي قال: قال رسول الله : { أتاني آت من ربي فقال: ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشراً } فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله أجعل نصف دعائي لك! قال: { إن شئت }. قال: ألا أجعل ثلث دعائي!. قال: { إن شئت }. قال: ألا أجعل دعائي كله قال: { إذن يكفيك الله هم الدنيا والآخرة }
وقد روى النسائي و الحاكم عن عبدالله بن مسعود عن النبي قال: { إن لله ملائكة سياحين يبلغونني من أمتي السلام }
واخرج الترمذي عن ابن مسعود مرفوعاً: { أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة }

ذم من لم يصل على النبي :

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله : { رغم أنف رجل ذُكرت عنده فلم يصلّ عليّ، رغم أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له، ورغم أنف رجل أدرك أبواه عند الكبر فلم يُدخلاه الجنة }

و فيما اخرج النسائي و الترمذي عن علي بن أبي طالب عنه أنه قال: { البخيل كل البخل الذي ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ }[الصحيحة]

عن ابن عباس عن النبي : { من نسي الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة }[الصحيحة]

وفيما حسنه أبو داود عن أبي هريرة قال أبو القاسم : { أيّما قوم جلسوا مجلساً ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله ويصلوا على النبي كانت عليهم من الله تره إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم }

وحكى أبو عيسى الترمذي عن بعض أهل العلم قال: (إذا صلى الرجل على النبي : { مرة في مجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس }).

فاللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما اغلق و الخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدرة و مقدارة العظيم .

الحمد لله رب العالمين

تعليق الفقير إلى الرب القدير

شريف محمد عبد المنعم المصري

٢٠ ذو الحجة ١٤٣٤هـ\ ٢٥أكتوبر٢٠١٣